

النشرة الأسبوعيةنوفمبر 2007**النص البشري في سوائه وإضطرابه**

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات نوفمبر 2007المجلد 2، الجزء 3 - أسبوع 3، نوفمبر 2007

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات نوفمبر 2007

الفهرس

	الخميس 01-11-2007:
379	62- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاها
	الجمعة 02-11-2007:
383	63- حوار/ بريد الجمعة
	السبت 03-11-2007:
396	64- مقتطف وموقف من كتاب:سلطان الأسطورة جوزيف كامبل
	الأحد 04-11-2007:
399	65- حالات وأحوال (عن الفصام..)
	الإثنين 05-11-2007:
405	66- حالات وأحوال (عن الفصام..)
	الثلاثاء 06-11-2007:
414	67- عن الفطرة والجسد وتضميم الألفاظ
	الإربعاء 07-11-2007:
426	68- مقتطفات بلا موقف... عن الموت والوجود
	الخميس 08-11-2007:
430	69- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاها
	الجمعة 09-11-2007:
435	70- حوار/ بريد الجمعة
	السبت 10-11-2007:
445	71- .. انتصار السعادة: برتراند رسل(!)
	الأحد 11-11-2007:
449	72- .. عن "المصداقية" وتشكيلاتها
	الإثنين 12-11-2007:
453	73- .. عن "المصداقية" بالاتفاق
	الثلاثاء 13-11-2007:
458	74- استطرادات طريفة وسخيفة !!
	الإربعاء 14-11-2007:
465	75- عن ماهية الوجدان وتطوره! (1)

	الخميس 15-11-2007:
469	76- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاهاة)
	الجمعة 16-11-2007:
473	77- حوار/ بريد الجمعة
	السبت 17-11-2007:
484	78- عن ماهية الوجدان وتطوره! (2)
	الأحد 18-11-2007:
492	79- عن ماهية الوجدان وتطوره! (3)
	الإثنين 19-11-2007:
503	80- مقتطف وموقف... عن الشعر والنثر
	الثلاثاء 20-11-2007:
511	81- المخ البشرى بين التفكيك، والغسيل، وإعادة التشكيل (الإبداع)
	الإربعاء 21-11-2007:
516	82- ... الموت والشعر
	الخميس 22-11-2007:
521	83- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاهاة)
	الجمعة 23-11-2007:
525	84- حوار/ بريد الجمعة
	السبت 24-11-2007:
541	85- ... عن الحب "للشباب" (وغيرهم غالباً!)
	الأحد 25-11-2007:
550	86- ... عن الفصام (2)
	الإثنين 26-11-2007:
562	87- ... عن الفصام (3)
	الثلاثاء 27-11-2007:
574	88- سيمفونية المعرفة الكونية بآلات عزف متكاملة (تسابيح)
	الإربعاء 28-11-2007:
581	89- الوحدة والتعدد في التركيب البشرى
	الخميس 29-11-2007:
590	90- أحلام فترة النقاهاة
	الجمعة 30-11-2007:
597	91- حوار/ بريد الجمعة

الخبيس 2007-11-15

76- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقابة

بإله من ميدان مترامى الاتساع مكتظ بالخلق والسيارات وقفت على طوار الحطة أنتظر مقدم الترام رقم 3 والوقت قارب المغيب، أريد العودة إلى بيتي على الرغم من أنه لا ينتظرن أحد، ويهبط المساء وتغلب الظلام على أضواء المصابيح المتباعدة وشعرت بوحشة وتساءلت عن آخر الترام 3، وخفت حركة الميدان وقلّ مرور السابله، حتى كدت أترك وحيدا في الحطة في ميدان خال أنتظر تراما لا يجي، وسمعت صوتا خفيضا فنظرت فرأيت على مبعده يسيرة فتاة ينطق مظهرها بأنها من بنات الليل فازداد شعوري بالوحشة واليأس وسألتني :

- أليست حطة الترام رقم 3؟

فأجبت بالإيجاب وفكرت في مغادرة الحطة وإذا بالتزام رقم 3 يقترب في هدوء ولا أحد فيه سوى السائق وقاطع التذاكر وشي من داخلي دعاني إلى عدم الركوب فوليت الترام ظهري، ولبتت على حالي حتى غادر الترام الحطة، ونظرت فرأيت الفتاة بموقفها، ولما شعرت بعيني ابتسمت وسارت نحو أقرب منعطف، فتبعتها على الأثر..

القراءة

المسرح هذه المرة ميدان مزدحم بالناس (الخلق) والسيارات.

والرقم 3 يعود من جديد، لكنه هنا رقم الترام لا عدد الأشخاص (راجع حلم (3) يومية 25-10)، (حلم (4) يومية 1-11) والراوى ينتظر الترام ليعود إلى بيته الخالي من ينتظره (فلماذا يرجع؟ أو: ربما لهذا هو ليس حريصاً بالضرورة على أن يسارع بالرجوع).

الوقت يمضى، والظلام يعم، والوحشة تزحف، والميدان يتناقص شاغلوه، وهو يريد أن يعود حتى لو لم يكن ينتظره في بيته إلا الوحدة، لكن يبدو أن خاطراً يخائله أن الوحدة داخل جدران بيته أرحم من الوحدة في ميدان عام، خاصة وأن الميدان نفسه بدأ يعلن بدوره خواءه من الناس "وخفت حركة الميدان، وقلّ مرور السابله، كدت أترك وحيدا في ميدان خال"

الانتظار يطول، والتزام لا يجيئ.

الانتظار هو الذى يمد الحاضر إلى المستقبل بشكل ما، ومع ذلك فقد يتجسد عادة في وعينا باعتباره انتظاراً لشخص ما، لحدث ما، لنقطة ما فكرة الانتظار هي فكرة كامنة في التركيب البشرى بصفة أساسية .

التي حضرت، أو أحضرها الانتظار، هي من بنات الليل، وبدلاً من أن يستقبلها الراوى على أنها "فرصة ما"، وقد حلّ الظلام، ازداد شعوره بالوحشة والناس، ليس هذا التواصل المأجور هو الذى يكسر وحدته في الميدان. ولاهو بديل عن وحدته في بيته حيث لا ينتظره أحد.

حركات البنت شيئاً ما بداخله، لا ليست...، ليس هكذا تنكسر وحدته، يبدو أن هذا الشيء الذى تحرك بحضورها، هو الذى حركه في الاتجاه المضاد ليغادر الخطّة، هو لعبة - آلية: "الكزّ والفرز" على مدى حركية التواصل البشرى.

يلوح التزام في الأفق ليعزى موقفه أكثر،

يحضر التزام- بعد طول انتظار- لكنه ، يحضر خالياً من البشر،

يحضر ليعلن وحدة جديدة.

الميدان خالٍ، والتزام خالٍ: وليس هناك من ينتظره في البيت

وظهور البنت - بنت الليل - لم يزد إلا وحشة .. "فازداد شعورى بالوحشة"

فما جدوى أى شيء؟.

ما جدوى الانتظار، وما جدوى ركوب ترام خال من البشر، ترام لم يتميز إلا برقمه، ما جدوى أى شيء .

فليذهب التزام

وليدهب هو أيضاً

لكنه لم يذهب.

بل أرسل الدعوة إلى الفتاة، (ولمأ شعرت بعيني، ابتسمت)، فمضى وراءها ضد عزوفه الأوّل عنها، وضد وحشته البادئة من قدمها.

هل هو تسليم أن هذا النوع من التواصل العملى الوقتى الصفقاتى هو المتاح؟

هل يعود من جديد ينتظر التزام رقم ثلاثة أو ثلاثمائة؟

بطائل أو بغير طائل؟

لم يقدم الحلم إجابات وتركنا نتساءل عن وجهتهما، ومصير وحدة الراوى، ودور الفتاة .

تركنا نتساءل عن مدى انتظارنا لما لا يكون

تركنا بعد أن تحرك فينا كلّ من الانتظار، والأمل، والوحشة ، والخيرة ...

هل نكف عن انتظار مالا يأتي ..؟
أم نتبع الموجود بغير طائل واعد؟
أنت وما ترى.

نص الحلم (8)

عندما اقبلت على مسكنى وجدت الباب مفتوحا على ضلفتيه
على غير (العادة) وجاءتني من الداخل ضوضاء وأصدااء كلام.

دق قلبي متوقعا شرا، ورأيت من أحبابي ابتسامات مشفقة،
وسرعان ما عرفت كل شيء، خلعت الشقة من الأثاث الذى كوم فى
ناحية داخل المكان .. عمال من متفاوتى الأعمار، منهم من
دهن الجدران ومنهم من يعجن المونه ومنهم من يحمل المياه ..
وهكذا نفذت المكيدة فى أثناء غيابي وذهبت توسلاتى فى الهواء .

وهل أطيق هذا الانقلاب و أنا على تلك الحال من الإرهاق؟

وصحت بالعمال: من أذن لكم بذلك، ولكنهم استمروا فى
عملهم دون أن يعيرونى أى اهتمام، وقهرنى الغضب فغادرت
الشقة وأنا أشعر بأننى لن أرجع إليها مدى عمرى، وعند
مدخل العمارة رأيت أمى مقبلة بعد رحيلها الطويل وبدت
مستاءة، وغاضبة، وقالت لى

-أنت السبب فيما حصل!

فثار غضبى وصحت

- بل أنت السبب فيما حصل وما سوف يحصل
وسرعان ما اختفت، ومضيت فى الهرب.

القراءة

يبدو أن منظر الباب المفتوح، والشقة الخالية، والأثاث
المكوم سوف يتكرر فى الأحلام بشكل متواتر. لولا نهاية هذا
الحلم ، أو قل لولا ثلثه الأخير، لاعتذرت عن قراءة ناقدا،
لأنه وصل لى لأول وهلة أنه ليس حلما، فقد عشت معه شخصا
بعض هذه التفاصيل، لكننى تراجعته، فقد سجنى ثلثه الأخير إلى
ما هو إبداع يتجاوز الواقع، وذلك حين أعلن الراوى الغضب
فالهرب، ثم تظهر المفاجأة حين تظهر الأم وهو لم يغادر العمارة
بعد، وكأننى أسمع بينهما العتاب حول شأن آخر غير ما أغضبه
حتى خرج طريداً أو هارباً هكذا، لعله شأن قديم بينه وبين
أمه، أم الراوى لا الكاتب(!)، وأن هذا الشئ القديم هو
الأصل الذى ترتبت عليه كل الأحداث، حتى الآن، بل والأحداث
القادمة أيضاً، وما الحدث الأخير إلا رمز لما اختلفا حوله
قديماً وحديثاً".

هو يحملها مسئولية ما حدث وما سيحدث، وهى تذكره بأنه
المسئول، مهما كانت علاقتهما الخاصة هى الخلفية الأعمق لما حدث.

فيصلنى أن كلاً منهما مسئول مسئولية ممتدة .

والنتيجة: أنها تختفى

وهو يمضى في هربه،
فلا هي تختفى، لأنها ظهرت (وتظهر) بعد رحليها الطويل
ولا يبدو أن هربه سوف ينجح حتى لو كان قراره "ألا يرجع
إلى الشقة مدى الحياة".

- وربما تكون هي المسئولة عن ظهور المهدي المنتظر في وعي
الناس، حين تتعملق الفكرة مرضاً، تصبح مسئولة عن تقمص بعض
المرضى لهذا المهدي، أو للمسيح الدجال المنتظر أيضاً، وهي -
فكرة الانتظار - تظهر في كثير من الإبداعات بشكل متواتر.
على سبيل المثال ذلك النبي الذي يحمل قلماً ينتظر نبياً يحمل
سيفاً (ليلى والمجنون : صلاح عبد الصبور) أو في انتظار جودو
(صمويل بيكيت).

مقدمة :

كدت أعدل عن حوار هذا الأسبوع، ربما لثبات الأصدقاء هم هم،
آسف. عيبٌ على هذا!!
اكتشفت أنهم هم الأول، والأنبل، والأطيب، عُذراً ساحمون،
أهلاً يا كريم .

د . كريم محمد شوقي: انتصار السعادة: برتراند رسل (!)
بصراحة أنا خدعت في العنوان، وكنت أنتظر ان تكلمنا عن
السعادة، أو عن راسل.

ذكرني كلامك عن البدايات بما يعرف بتأثير الفراشة في
نظرية المادة الأولية (التي تعرف خطأ باسم نظرية
الفوضى) والتي تقول. إن أى تغير بسيط في المادة الاولية
قد ينتج عنه تغير رهيب في النتائج النهائى لا يتناسب
إطلاقاً مع التغير الأول البسيط، فلو خفقت أجنحة فراشة
ما بالصين الشعبية كان ذلك كفيلاً بحدوث الأعاصير في
الولايات المتحدة الامريكية.

د . يحيى

يا عم كريم واحدة واحدة، ثم إنى علمت مؤخراً من مصدر
علمى موثوق به أن حكاية هزة جناح الفراشة هذه ليست
حقيقة علمية بقدر ما هى "نكتة علمية"، مرتبطة بأسس
علم الشواش chaos science، (وليس علم الفوضى، لا
تخف)، وهى نكتة شارحة جميلة، لكن الجهلة أمثال صدقوا
أنها حقيقة علمية لفترة ما، وحين صُحِّقنى "ذلك العالم
الجليل، خجلت من نفسى وقررت أن أبلغ كل من يستشهد بها
أن هذه المعلومة نكتة علمية، لا أكثر!..

د . كريم

... هل تكون كتاباتك هى خفكان أجنحة الفراشة؟ ، و هل
تصل تعنتك الى ما وصلت اليه تعتة جان جاك روسو و
فولتير؟ أحبيك على التزامك الرائع لانتظام هذه اليومية
ووددت لو اطلقت على سيادتك لقب الذى لا ينام و لا يترك
احدا ينام!

د . يحيى

ليس هكذا تماما، ولو أنك بذلك ذكّرتني بإهداء الصديق عبد الرحمن الأبنودي لى كتاب حوارات "محمد القدوسى" كاتباً في إهدائه هذا الكتاب إلى فلان (أنا) "الشاعر الواعر"... "رجل لا ينام" هذا تكريم عزيز من شخص عزيز، فتساءلت - متحكما- حين قرأت عبارتك هل هي مصداقية بالاتفاق، لكن عندك: أنا اعتبر النوم بما يحوى من نشاط حالم، وليس مجرد الأحلام، هو ثروة إبداعية رائعة، لست مستعداً للتنازل عنها بأى مقابل قال لا ينام قال!!

ثم يا عم صلّ على النبى، فولتير من؟ وروسو من؟ هل تابعت يا كريم انغلاق دائرة الحوار علينا؟ لقد هممت أن أعتذر اليوم، (المقدمة) أين الزملاء النفسيون الذين لا يكونون عن تقبيل بعضهم البعض في أروقة المؤتمرات إياها؟، لقد نزل اسم موقعنا هذا منذ أكثر من أسبوع في موقع الشبكة العربية للأمراض النفسية www.arabpsynet.com فأتيح لمن يدخل هذه الشبكة أن يعرف الموقع ويمكنه أن يتابع هذه اليومية وغيرها إن شاء، لكن يا عم كريم : لا جسّ، ولا خبر، فإما أنها لا تستأهل، وإما أن جناح فراشتى مكسور، ومع ذلك فالبركة فيك، وفيينا.

د . كريم: عن المصداقية بالاتفاق الطولي

أتذكر اني قرأت في موضع ما أنه لو تاخر "ألكسندر جراهام بل" عن تسجيل اختراعه للتليفون باسمه ساعات، لسجل الاختراع باسم عالم اخر توصل إلى نفس الاختراع في نفس الوقت تقريبا.

د . يحيى

إذن فقد وصلت الرسالة!!، ثرى هل صدقت افتراضى بشأن حكاية العقل البشرى الجمعى، الذى يشكل نظرياته وإبداعاته ثم يعلنها من خلال بعض الأفراد الصالحين لذلك، وهل وصلك ما وصلنى من تداعى هذه الفروض يا ترى.

د . كريم

(في انتظار) كلامك عن داروين، و راسل،

شكر الله سعيك.

د . يحيى

عظّم الله أجرك! هل تعرف يا كريم "أن شكر الله سعيك" هي الدعوة التي تقال لمن يذهب للمواساة في عزاء، وأن الرد عليها هو "عظّم الله أجرك"؟ أعرف أنك لا تقصد ذلك لكن كلمة "سعيك" أحضرت في وعيى الآية الكريمة التي أكررها ليل نهار، والتي نبهني إليها محمد إبنى، والتي تقول: "... وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يُرى"،... الحمد لله.

د . كريم حمد شوقى:

(استطرادات طريفة وسخيفة !! حول كتاب جيّد عن السعادة، برغم كل شئ)

اتفق معك تماما ان البحث عن السعادة هو ضدها، فقط إسبح لى أن أضيف لهوامشك أفضل ما قرأت عن السعادة-من وجهة نظري- وهو قول الفيلسوف الامريكى "رالف والدو إيمرسون" "فلا شئ يسعه ان يجلب لك السعادة الحقة إلا نفسك، والمقولة الأخرى للأيرلندى الساخر جورج برنارد شو: أتعس الناس على وجه الأرض هو من يجد وقتا كافيا ليسأل نفسه: ترى هل أنا سعيد أم لا!؟

د . يحيى:

حين دخلت يا كريم إلى النّت أبحث عن كلمة "السعادة" وجدت عشرات التعريفات والتنبيهات والتحذيرات من **عظماء**، و**مبدعين**، و**فلاسفة**، و**حكماء**، وهى مثلما أوردت أنت الآن، وقد انبهرت بأغلبها فعلاً، ولعل العشرة محكات التى كنتيها في نهاية تلك اليومية هى مستوحاة ولو بعضها على الأقل بشكل غير مباشر من بعض هذه التعريفات- لكنني عدلت في آخر لحظة عن إثبات كلمات هؤلاء العظماء ومناقشتهم، لأننى وجدت أن المسألة تحتاج بحثاً مستقلاً.

د . كريم

أخيراً بمناسبة كلامك عن راسل يحكى أن هذا الفيلسوف البريطاني قد طلب إلى تلامذته في أحد الامتحانات أن يكتبوا عن الفرق بين **المتشكك**، و**الملحد**، و**الكافر** و**"اللا أدرى"**، وكان الامتحان صبيحة راس السنة الجديدة فكتب أحد الطلبة: إن الله وحده هو الذى يستطيع الإجابة على مثل هذا السؤال... وكل سنة و أنت طيب.

ضحك برتراند راسل وكتب على الورقة: عشرة على عشرة لله، وصفر على عشرة لك... وأنت طيب!!!.

د . يحيى

أخشى ما أحشاه يا كريم أن أكون قد بحست هذا الرجل العظيم حقه، فقد بلغنى شفاهة من البعض أننى بنقدى لمفهوم السعادة هكذا، كنت أنقد ما جاء في كتابه هذا "انتصار السعادة". على فكرة جئنى من صديقة، أنه كان عندى حق في رفض كلمة انتصار ترجمة لكلمة conquest واقترحت كلمة "انتزاع" "السعادة" (فخطرت لى كلمات مكملة مثل "اقتناص" السعادة، لكن "انتزاع" أفضل) - فرقٌ يا كريم بين أن السعادة تنتصر (انتصار السعادة)، وأن "ننتزعها انتزاعاً"، ولعل هذا ما أراداه راسل الذى يبدو أننى ظلمتهُ دون قصد.

أرجع إلى هذا العظيم العظيم راسل، وأعتذر له - مع أننى أشدّت به طول اليومية، ونفيت تماماً أننى أناقش كتابه بالذات، وكان اعتراضى كله على كتاب "علم السعادة" الذى لخصه المرحوم أ.د. أحمد مستجير في "وجهات نظر"، وما يقابل ذلك من **سعادة لفظية**، أو **سعادة خامدة**، أو **سعادة مطمئنة ساكنة**، وكل ذلك لم يرد أصلاً في كتاب راسل، وأشعر أننى ملزم بالعودة إلى بعض محتوى كتاب راسل لعلنا نعطيهِ بعض حقه.

د . كريم حمد شوقي : (عن ماهية الوجدان وتطوره)

أعتذر عن وضع الاسم المناسب للتعبير العاطفي الموجود على وجه السيدة الفاضلة لسبب بسيط جدا هو انني اكتشفت حالا انني لم أتوقف يوما لأفكر و لم اعرف يوما ما هو الفرق بين ما هو الحزن، والأسى، اكتئاب، أسى، رعب ، ألم، خزي، انكسار، غم ، غم و بالتالي اجد صعوبة في الاستجابة فالإجابة .

كل ما أتذكره ان التعبير في الصورة رقم 3 كان على وجه جارتنا حين توفي زوجها وترك لها خمسة أولاد في سن الشباب ويمكنني أن أطلق عليه "ذهول" ربما أغير رأيي و أحاول، ولكنني أجد صعوبة واضحة هنا والآن.

أما عن تقديم الكتاب في اليومية فأنا اسجل موافقتي الشخصية...لن تكون هذه اليومية بهذه المتعة ما لم تكن على حريتك و تفعل ما يحلو لك

د . يحيى

مجرد إعلانك هذه الصعوبة، هو ما سعيثُ إليه من تقديم هذه الصور كعينات، حتى نراجع أنفسنا، ونحن نستعمل ألفاظ العواطف بهذه السهولة، وكأنها تعني عند كل واحد منا نفس المعنى، بل إننا أصبحنا نصف مشاعرنا (عواطفنا) بألفاظ مستورده، وبدلا من "أنا حزين"، يقول الواحد منا "أنا دبرسد"، وسوف أرجع لي ذلك تفصيلا في يومية غد (السبت)، ثم إنني لن أكف عن شكرك على تشجيعك أن آخذ راحتي (وبلاش حريتي هذه)،

ثم تعالى معي الآن إلى صديقك في استراليا ابن أخی.

د . محمد أحمد الرخاوي

من أكبر آفاتنا وعلامات إفلاسنا الصارخ أننا نتكلم عن عصور الإسلام الأولى لكي نثبت أن الإسلام مية مية بدل أن نعيش الإيمان كقوة دفع حيوية لأى وجود صادق باعث على إثبات... بالفعل هنا والآن.

د . يحيى

لهجتك أصبحت أهدأ يا محمد، لكن صوتك مازال عاليا،

بصراحة "أنا غُلِبْتُ غلي" من الخلط الذى يصل الناس بمجرد أن أستعمل كلمة "إيمان" أو حتى كلمة "الله" سبحانه وتعالى، حتى أنني كثيرا ما لجأ إلى اسم آخر من أسمائه الحسنى حتى لا يصل للمتلقى ما لم أقصده.

د . محمد أحمد الرخاوي: المصادقية

إن الدنيا لا تستقيم إلا بإيمان مقرون بفعل طولى وعرضي، فردى وجمعي، طول الوقت والا فهو استمناء وغباء وسلبية وموات

د . يحيى

رجعنا للسباب وقلة ال..... يا أخی، لو بلغك

أنت كلامك مثلاً في قولك: "إيمان مقرون بفعل طويل وعرضي"، لو بلغك أنت ما قلته، لكان لك شأن آخر، فمن ناحية هو أكبر من أن يقال!! ومن ناحية أخرى قولك له وأنت تعنيه لا بد أن يغنيك عن مثل هذا السباب هكذا.

د . محمد أحمد الرخاوي

.... الرضا بالكبح فالوصول- دون وصول طول الوقت- هو محور كل وجود، ومحور كل سعادة، وأوافق على عدم استعمال الكلمة (السعادة) من الأصل .
(ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ..)
!!!!!! سورة هود

د . يحيى

على البركة، لكني ما زلت قلقاً من هذه الخطابة، يا ليتك تقف عند قولك "الوصول دون الوصول"، فهو سر الاستمرار، وحفز الإبداع، يكفى هذا، وهيا بنا يا محمد إلى د . سناء التي لا تعرف الكتابة على (الحاسوب) بالعربية.

أ . سناء: (عن ماهية الوجدان وتطوره)

يا أستاذنا، تعيش وتبدع، تعيش وتعلمنا

د . يحيى

ربنا يخليك

أ . سناء : (لقد توقفت طويلاً أمام تعبيرك)

"لا يخنق المعنى إلا حبسه في تعريف جامع مانع، كثير من التعريفات هي سجن للمعنى". This made me soar high

د . يحيى

تصوري يا سناء أنا كشفت على هذه الكلمة الجديدة على soar في القاموس فوجدت معناها شديد الدلالة، أي والله، لكن يا رب تنزّلين واحدة واحدة من تخليقك بالسلامة، يا سناء هيا نستقبل معا الإبن يوسف عزب، ها هو قادم.... ترى ماذا عنده اليوم؟

أ . يوسف عزب: انتمار السعادة: برتراند رسل(!)

يومية مؤلة

د . يحيى

مازلت أبحث يا يوسف في ردك عن ما وصلك من "العشر حركات" التي انتهت بها هذه اليومية، هل وصلك ما أعنيه؟ رجحت أنه لو كان وصلك كنت سوف تعلق، يكفيني أنك علقت على قراءة أحد أحلام محفوظ.

أ . يوسف عزب: (حلمان)

قرأت الحلم الخامس هكذا... أنه فرح بمجيئه الدنيا وفرح بالفوضى التي يحدثها فيها، (السيرك) وتمثل من هذه الفوضى حتى شيع وفتروهم وضح من هذه الفوضى وهذه الحياة حتى تمت الموت الرجوع للمسكن، وحينما لاحت الدنيا بمسئلتها له وتعطل الحال، اكتشف أن الفوضى داخله والبلياتشو داخله.

د . يحيى

دعنا نختلف يا يوسف، فهذا ما قصده من الدعوة إلى "النقد الآخر"، و"نقد النقد"، ودعني لا أوافقك على قراءتك، هذا حقى أيضاً، أليس كذلك؟

أ . يوسف عذب: عن المصادقية

الله ينور، عاوزين من ده على طول أتمنى أن تكون دى اليومية على طول.

د . يحيى

لأطبعاً، لا أعذك، ولا أوافق، دع ما يفرض نفسه يفرض نفسه.

وبما أنك أوجزت اليوم هكذا يا يوسف، فدعنا نستمع معا إلى بعض طلاقة رامى.

أ . رامى عادل: الحوار

مرحباً، أهلاً وسهلاً، وربنا يديك الصحة، وبإذن الله حانضبط الأداء، ومحمد قلبك . باى، شكرا

د . يحيى

حلوة حكاية "نضبط الأداء"، ومحمد قلبك أنت أيضاً يا رامى.

أ . رامى عادل: انتصار السعادة: بتراند رسل(!)

... أرجوك اسمعنى كويس جدا المره دى، أنا قصدى أفوقك، وأنا بالومك على عدم وجود الحب فى مقال النهاردة، وعلى النظرة المتشائمة، ومحاول أفكرك ، إن بسم الله الرحمن الرحيم "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" ، ومن أصدق من الله حديثاً، بسم الله الرحمن الرحيم "يا يحيى خذ الكتاب بقوة".

د . يحيى:

نظرة متشائمة منْ ياجدع أنت، أنا لا أجرؤ أن أتشاءم، لا أسمح لنفسى أن أتشاءم، لكنك ذكرتنى بالصدفة بمحدث مهم:

حين سمعت هذه الآية الأخيرة من والدى رحمه الله، (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) وكان فى بيتنا الباكر فى القاهرة، فى شارع 10 فى العباسية، وكان عمري أقل من 4 سنوات (لأننا انتقلنا إلى طنطا وأنا فى هذه السن)، فقللت لأبى وهو يتلوها ".. طب هات"، (مش هوأ إالى قال خذ الكتاب بقوة!)

هذه الحكاية حكاها لى أبى بعد أن أستقر بنا المقام فى مصر الجديدة سنة 1946، واصطحبني أبى إلى ما بجوار قسم الوايلى ليرينى شارع 10 الذى ولدت فيه،

أما حكاية لؤمى على عدم ذكر الحب، فى مقال السعادة فعندك حق، لكن ما وصلنى من خبراتى هو أن سوء استعمال كلمة "حب" هو أكثر تواترا من سوء استعمال كلمة سعادة، ويبدو أننا فى النهاية سنقول: كما قلنا فى

السعادة: إن من يريد أن يحب، فليفعل دون أن يردد الكلمة، وسوف يجد ثراءً لم يخطر على باله إن كان صادقاً.

أ. رامى عادل : انتصار السعادة: بتراند رسل(!)

ايه ده يا شيخ؟ ايه ده يا شيخ؟
أنا اكتشفت ان الضرب على القفا واقع أكثر واقعيه من السعادة بتاعت عمنا راسل، الله يرحمه.. أوعى تكون واحد موضوع السعادة جد.. ربنا يفرح قلبك ويطيب بخاطرك، روح يا شيخ ربنا يهديك.

د. يحيى

يا رب يا شيخ، من فمك لباب السماء، لكن يا رامى خل بالك أنا لم أتكلم عن السعادة "بتاعت عمنا راسل" يا خير!! يبدو أننى ظلمت الرجل فعلاً!! حتى أنت يا رامى لم تلتقط ماذا كنتُ أعنى وأنا أتناول موضوع السعادة (بالمعنى الذى رفضته فى اليومية) ألم تنتبه كيف أنى نبهت أنها (السعادة) إما أن تدخل من بابها الذى لا نعرفه، ولا نستطيع أن نحده، وأن تدخل باسم آخر أو بدون اسم، وإما فإله الغنى عن استعمال الكلمة أصلاً.

أ. رامى عادل : (عن ماهية الوجدان وتطوره)

أنا أعزب، وباشتغل عامل نظافه، وساكن فى المعادى ، ودخلى يكفينى بالكاد.

والصورة الأولى: عاطفة الجزع، التبكي، صعبان عليها، الممثلته بتقول بخلجاتها حرام عليك قبل حادثة الاغتصاب (التمثيلية المتخيلة)، وهى بروب الحمام والجرم اللى ناوى يعتدى عليها بينظرلها بتشفى، وهى أيقنت انها وقعت فى فخ لا فكك منه ، ربنا معاه، هى مش عايزه تبكى، هى عارفه ان مغيث مهرب إلا فى الصبر بس .. يمكن يكون عندها أمل فى ربنا .

الصورة الثانية: اكتئاب أو استجداء، وده بعد ما الجرم سابها نص ساعه لوحدها، وهى بتتمرن وهى يائسه.. على انها تحلى الجرم يرحمها .كل ده فى الحمام الفخم .وهى بتموت من الياس، بتموت من طول الانتظار. ربنا مش بينسى عبده حتى لو هى نسيت ربنا فى اللحظة دى بالذات ..وهى فى المصيبة دي. هى منتظره الموت.

الصورة الثالثة: الألم وتانىب النفس، وبتلوم نفسها، وبتندب، وبتنوح وبتندم، لسه ماتمش اغتصابها، وهى مسئولة

ملحوظة: لا أمل فى حلم يومى الا من خلال واقع يومى .
شكرا يا عم دهب

د. يحيى

بصراحة يا رامى لا تعليق

شوية شوية سوف تكتب قصصاً جميلة، وصلنى وصفك للتعبيرات الثلاثة على أنه إسقاط قصصى جيد، وربما هذا الإطناب هو

ما كنت أحتاج أن أسمعه حتى نرفض معا اختزال كل ما وصلك من هذه الصور في لفظ واحد ندعى أنه يجتوى عاطفة اسمها كذا، أو كيت.

أ. رامى عادل: أحلام فترة النقاثة هل نكف عن انتظار ما لا ياتي؟ ام نتبع الموجود بغير طائل واعد؟

هل أكف عن ملا حقة البنث الحوريه اللي هعيش في عنيتها كل الأحلام؟ ولا أعيش الواقع المر؟ يا ترى أعيش ضعيف وفاشل بارادتي احسن؟ يا ترى افضل مكسور؟ وهل أحسن أنى أعيش الحياه مع النسوان وأنا مليون عيوب وثقوب؟ يا ترى هى مش هتكشفنى؟ سلام باعم دهب، ومتهيل أنت عارف اجابات شافية مهما كانت مُرّه

وأشوف وشك بخير

كتاب الفصام فكرة هائلة.. توكل على الله

د. يحيى

أنت يا رامى بصراحتك هذه (حتى بعد أن حذف ما حذف خوفًا عليك)، أنت تحف عني (ربما عنا)..

لكن والله العظيم ما أنا عارف الإجابات كلها، ولا حتى بعض بعضها

ربنا يسهل وأقدر، أكمل الكتاب، بتشجيعك وتشجيع د. أسامة المثابر.

د. أسامة عرفة: حوار الجمعة 2007/11/9

كلمة أخرى في مسألة الفطرة .. لا يوجد تناقض بين ما نذهب إليه من فطرة التركيب الأرضى الثنائى (الفجور - التقوى) وبين ما يذهب إليه الفقهاء من نقاء الفطرة حيث أن الفطرة التى يتناولها الفقهاء هى فطرة يوم "الذر"، يوم أخذ الله ذرية بنى آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم وشهدوا بوحدانية الله .. أما كدح الانسان فى الأرض بثنائية التركيب فهو كدح فى اتجاه القرب من أو البعد عن هذه الفطرة الأولى، وعليه يجب تحديد المصطلح هل عندما نتناول الفطرة نعى الفطرة الأولى أم فطرة التكوين الأرضى و لهذا الأمر مبحث طويل ليس هنا مجاله مرحليا..

د. يحيى

..... يا أسامة، أنت وما ترى(!!) كل واحد مسئول عما يصله ويراه، وإن كنت شخصيا أقرأ الآية "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ...إلخ"

أقرأها بطريقة أخرى تماما.

ولولا أني أتجنب دائما وبإصرار ما يسمونه التفسير العلمي للقرآن، لقلت لك رأي بالتفصيل، لكنني أكتفي الآن بإحالتك إلى كتاب تطور العقول Kinds of Minds ربما يصلك ما وصلتني وكيف يمكن ربط أصل الحياة من أول الدنيا (وعياً) منظماً، وكيف يمكن ربط أصل الحياة من أول الدنيا DNA، وهي تشهد بالربوبية والتوحيد ساجدة متساعدة في القوانين الأعظم فالأعظم، أن هذا الأصل هو ممتد من الجماد يسبح ربه (الجبال مثلاً) إلى أنواع متعاقبة، ذرية بعضها من بعض، لا بقاء لأى نوع إلا بالتكامل والتكامل توحيداً، كل هذا يتم بعيداً عن "الوعى بالوعى"، قبل ظهور الإنسان، وبمجرد أن أكتسب الإنسان هذا الوعى بالوعى انتبه إلى "ما كان عنه غافلاً"، فتحمل مسؤولية أن يحافظ على هذه العلاقة التناغمية التصعيدية الجدلية المتوازنة، أو أن يشوهها كفراً واغتراباً. آسف يا أسامة فهذا إيجاز مُخَل، ولكنني لن أكف عن المحاولة لتوصيل ما وصلتني، لعلنا نعرف معنى تسيحة الصوفى البسيط "ربى كما خلقتني"، "ربى كما خلقتني" كما نعرف كيف تُسبح له الجبال والطيور وكل شئ.

مسألة الفطرة يا أسامة سوف تظل تشغلي من منظور بيولوجى نمائى تطورى مرورا بالخرية وحمل الأمانة، ليكون الإنسان أهلاً لما وصل به الارتقاء إلى هذه المرتبة العليا بين الأحياء، بفضل الله، على شرط ألا تختزلها إلى البدائية من ناحية، ولا نستلهم معناها من لغة (أو لغات) لم تذكرها أصلاً، تذكر يا أسامة أننى رفضت تماماً ترجمة الفطرة إلى Instinct التى هى مقابل "غريزة"، الفطرة ليست هى الغرائز، مع أنها تحتوى الغرائز، لعل الكلمة الأقرب بالإنجليزية هى Disposition ربما، حتى نجد لفظاً أفضل.

نحن البشر نتدهور يا أسامة إلى أدنى مما تتصور، وربنا يستر.

مبحثك الطويل الواعد هو مسئوليتك، ولكل وجهة هو موليها.

د . أسامة عرفة: (عن ماهية الوجدان وتطوره)

أنا على يقين أن كتابك هذا سيكون أروع ما كتبت بل أطولهم عمراً و أعلام ابداعاً..

الصورة 2: حزن

الصورة 12: أسى - كظيم

الصورة 3: أصعبهم .. درجة من الحزن تخلع معها القلب (أصبح فؤاد أم موسى فارغاً) : خواء؟؟؟!

د . يحيى

شكراً لتعقيبك على صور العواطف، وإن كان ما جاءن عموماً قليل جداً، ويبدو أن هذه الطريقة في طلب الرأى لن تنفع، أما أن هذا الكتاب "عن الوجدان" سيكون أهم كتي فلا أظن.

إنّ هى إلا محاولات في كل اتجاه، لا أدرى أى موضوع من مخزون الذى عثرت عليه مصادفة بفضل هذه اليومية هو أولى

بالرعاية، أو بالتقديم، ولا أعرف، ما الذى من بينها سوف يكون أطول عمراً أو أكثر نفعاً، كله بأمره!.

د . أسامة عرفة: انتصار السعادة: برتراند رسل(!)

الرضا .. السكينة .. الدوام الرضا دفاع ضد الاحباط .. دفاع ضد أو مع الحزن .. حالة حقيقية من التناغم مع أشياء الكون .. ليست استسلاما السكينة هدأة داخلية .. سلام مع النفس.. متضافرة مع الصبر.. عدم الدوام آفة السعادة .. بما أن السعادة لا تدوم و بما أن كل شئى هالك إلا وجهه و بما أنك كادح إلى ربك فملاقيه فالسعادة الحقيقية أن تكون جاهزا في أيه لحظة لقلائه بما يرضيه .. رضى الله عنهم و رضوا عنه السعادة في الحركة في اتجاه الله حركة في النفس حركة مع الناس حركة في الاتصال بالله و الكون جميعها في اتجاه الله

د . يحيى

مزجك الحركة بالسكينة هو الذى يطمئننى قليلا، لكننى أخشى البعد عن عمق الجدل، برص مثل هذه الكلمات بجوار بعضها منك، ومنى أيضا (وربما من ابن أخى كذلك)، والآن هيا نختم الحوار بملاحظات الصديقة أمل محمود، التى تشاركننا مجدية بين الحين والحين.

أ . أمل محمود

الصورة الأولى: حزن

الصورة الثانية: غم

الثالثة: أم

بالمناسبة: الجدول الموجود تحت الصورة ليعمل،

توجد طريقة يعملوها بتووع إنشاء المواقع الإلكترونية لتفعيل الردود على جداول مثل هذه .

د . يحيى

تمنيت أن يصلنى مائة رد مثل رذك هذا بما يسمح بالإحصاء أو المقارنة، لكن .. الحمد لله، هذا وسوف أراعى ملاحظتك مستقبلاً في تصميم جداول الاستطلاع القادمة، ولكن أين المشاركون؟! .

ربنا يسهل .

أ . أمل محمود

أعتقد أن كلمة الوجدان لها علاقة بالتصوف. وليس لها علاقة بالمشاعر والعواطف والأحاسيس والانفعال، التى تتعامل معها مراكز مختلفة بالدماغ، (وأعتقد أنه يوجد خلط شديد) .

د . يحيى

الوجدان كلمة شاملة رائعة، لايمكن تخصيصها لفئة من البشر تمارس نشاطا إنسانيا معيناً، ولو كان هو التصوف،

أما علاقتها بالمشاعر والعواطف والأحاسيس والانفعال، فهذا هو ما تسعى إلى تناوله النظرية التي سوف أقدمها، أما حكاية مراكز المخ المختلفة، وربط بعضها بالمشاعر الإنسانية حتى لو كانت "انفعالات"، فإنها من أخطر ما اختزل العواطف والوجدان إلى ما هي ليست هي. وهذا أيضا من صلب اهتمام النظرية، وسوف نناقشه تفصيلا في حينه.

اعترف أن الخلط وارد، والمسئولية رائعة، والمحاولة مستمرة، وليس هناك سبيل للإبداع والتجاوز إلا بالمخاطرة، لا المعاجم وصية على لغتنا، ولا علوم الدماغ الحالية قادرة على استيعاب نبض الوجود بما هو.

أ. أمل محمود

هناك مسألة مهمة عن العواطف طرحها طبيب ألماني اسمه أرنتس هياكون حول التعاطف والتشارك العاطفي والتي ترجمها المترجم إلى "التشارك الوجداني"، الموقع بتاعه مكتوب فيه قصة لطيفة عن أحد حاخامات اليهود دعا ربنا أن يشوف السماء، ربنا أرسل له أحد ملائكته ليقوده إلى هناك، فوجد نفسه في البداية في فناء واسع ومجموعة من الناس يجلسون حول مائدة بها أشهى أنواع الطعام ويمسكون بأيديهم ملاعق طويلة جدا جداً وفي حالة من الهزال الشديد. فسأل الملاك ما هذا المكان فقال له أنه النار. ودخل فناء آخر كبيراً وبه مجموعة أخرى من الناس يجلسون حول أشهى أنواع الطعام التي تشتعل تحتها النار ووجدتهم مصحين وأقوياء ويمسكون بملاعق طويلة للغاية. لكن كل واحد منهم يطعم الآخر بلعقته. فسأل الملاك. فقال له هذه هي الجنة.

ويبدو أن هذا هو "التعاطف" وليس "التشارك العاطفي" حسب رأى الكاتب الألماني.

د. يحيى

الابن الزميل د. ايهاب الخراط اقترح لهذه الظاهرة (التي هي بالانجليزية Empathy وليست Sympathy) لفظ "المواجهة" وأتذكر أننا نشرنا له هذا البحث في مجلة الانسان والتطور (نحو المواجهة: استخدامات الدهشة، عدد 62 يوليو 1998)، هذه المواجهة هي تقريبا ما جاءت في المقال الذي أوصيت به وتفضلت بإرساله وهو مقال "التعاطف" لكاتبه هايكون إرنست ترجمة أ.د. سامر جميل رضوان.

أمل محمود

(ثم إنني) بحثت عن كلمة وجدان لأنني مش عارفة معناها وهل تعني أيضا عواطف أو مشاعر أو أحاسيس، لا أعرف، ووجدت معان متشعبة في معجم "لسان العرب"، تحتاج منكم إلى نظرة ومراجعة.

د. يحيى

... عندك حق، ولقد انشغلت طويلا بهذه المسألة وخاصة في محاولتي التحذير من مسخ مشاعرنا باستعمال أجدية تصف العواطف مستعارة من لغة أخرى غير لغتنا، ونبض آخر غير ثقافتنا.

وهذا ما سوف أفصله في يومية الغد (السبت) خصوصا وأنتى وجدت أن هذا البحث لم ينزل في الموقع بعد.

كيف لا نحبس الظاهرة في لفظها؟

مقدمة:

عرفت الآن سبباً آخرأ هو مسئول أيضا عن تأخر نشر هذه النظرية، بالإضافة إلى طبعى الخاص، ووقى المزدحم، إنه الخوف من العجز عن توصيل ما أعنى من خلال هذه المباشرة "العلمية" المتشكلة في كلمات.

رجعت إلى أطروحة قديمة تناولت فيها مخاطر وصف مشاعرنا باستعمال كلمات مترجمة من لغة أخرى بديلا عن كلمتنا النابعة من عمق ممارساتنا الحياتية الخاصة، تاريخاً وحالاً، بما يترتب عليه تشويه وجودنا، أو محو تميزنا (لا أعلى ولا أدن، مجرد تميزنا)، فوجدت أن هذه الأطروحة لا تمثل إلا جانباً واحداً من القضية (الترجمة القاصرة، والسجن في اللفظ الساكن المستورد).

وجدت أننا ونحن نتناول الآن من جديد موضوع "العواطف والوجدان" علينا أن نراجع حتى التسميات التي نسميها نحن بها، وقد تصورت أن تقديم أية عاطفة "لها اسم" سوف يترتب عليه أن تجرى الأمور على الوجه التالى:

(1) نستعمل لفظا (وهل عندنا سبيل آخر؟) لتسمية العاطفة التي سنتناولها، مثلا "الخوف" أو "الحزن" أو غيرها.

(2) يقفز إلى وعى المتلقى ما يعرفه عن هذا اللفظ (لا تنسى أننا في سياق علمي).

(3) يقفز في نفس الوقت ما يثيره فيه سماع أو نطق أو قراءة هذا اللفظ (واعيا بما يجرى أو غير ذلك)

(4) تختلط خبرته، بمرجعياته المعلوماتية، بموقفه الأيديولوجي، ومواقفه الأخرى فيحدد (شعوريا أو لا شعوريا) ما ينوى التعامل به مع هذا اللفظ (مازلنا بعيدين عن الاقتراب من الظاهرة التي يشير إليها اللفظ، ناهيك عما إذا كان - اللفظ - قادر على تضمينها داخله أم لا).

(5) قد تزيد حيرته (المتلقى) فيلجأ إلى المعاجم (أو إلى موسوعة، أو مؤخرا يلجأ إلى "سيدنا جوجل" أو "مولانا ياهوه"!).

(6) قد تدعم المعاجم والمواقع موقفه المبدئي، أو تعدله.

(7) قد تحمل تحديات أو تعريفات المعجم (أو الموسوعة أو حتى المرجع العلمي) محل موقفه الشخصي، بدرجات مختلفة حسب مرونته أو صلابته!! إلخ

(8) ثم يبدأ في قراءة النظرية (الأطروحة) من خلال ذلك الموقف الشخصي جدا، أو **الشخصي المغمى، أو الشخصي المرجعي.**

(9) بعد ذلك يصله أو لا يصله ما أردناه ونحن نحاول سير غور الظاهرة تحت الفحص.

وبعد

لو صحَّ كل هذا أو بعضه، فالأرجح أننا سوف نتكلم عن أشياء مختلفة، مع أننا نستعمل نفس الألفاظ.

هل معنى كل ذلك أن الأولى بنا أن نبتعد كلية عن الموضوع ونترك المسألة لجدول ضرب المفردات العاطفية في لعبة الكلمات المتقاطعة شبه العلمية، لتزجية الوقت أو للتباهي بالمعلومات الجاهزة هربا من المسئولية؟

إلى متى؟ إلى أين؟

كالعادة: ليست عندي إجابة.

عانيت كثيرا وأنا أرد على محاولات خنق لفظ **الفطرة** في تعريف معجمي، أو استنادا إلى ترجمته إلى Instinct، كما عانيت أقل وأنا أتعامل مع لفظ **السعادة** وربما هذا ما دعاني أن أوصي في النهاية إلى استبعاد استعماله (ربما هذا ما يفسر تحفظي أيضا ضد استعمال لفظ "الحب")،

وبعد

فقد أردت أن أعرض هذه الإشكالة عن علاقة الكلام، باللغة، بالظاهرة المعنية، حتى يبذل المتلقى جهدا ناقدا مناسبا طول الوقت، قبل أن يسارع بالقبول أو الرفض، ناهيك عن التصفيق أو الشجب.

فجاءت هذه المقدمة الثانية

جذور اللغة (بيولوجيا)

..... اللغة ليست إضافة لاحقة بظاهر الوجود البشري، الفردي أو الجماعي، بل هي الوجود البشري في أرقى مراتب تعقده، إذ هي التركيب الغائر الذي يمثل الهيكل الأساسي الذي يصدر منه السلوك، وبالتالي فهي جزء لا يتجزأ من التركيب البيولوجي للمخ، خاصة باعتباره القائد الحيوى المسئول عن نوعية وحركية مسيرتنا الجدلية المتضفرة.

الدراسات الأحدث، جنباً إلى جنب مع المراجعة الأوسع، تشير أكثر فأكثر إلى أن المخ البشري، في كليته، إنما يتواجد في حالة نشاط دائم، دورى الأطوار، بالغ المطاوعة، وأن تنظيماته المتداخلة تتعلق تعلقاً شديداً بنوع، وكم المعلومات المتاحة، سواء تلك الممتثلة في الذاكرة الوراثية (الجينات)، أم الواردة من معطيات البيئة المحيطة، ثم من تفاعلها معاً في جدل ولافي دائم.

اللغة - من هذا المنطلق- هي ذلك الكيان البيولوجي: الراسخ/المرن/المفتوح: معاً، وبالتالي فهي دائمة التشكيل والتشكل، وليس "الكلام" إلا بعض ظاهرها في سلوك رمزي منطوق أو مكتوب، على أن الكلام وهو يؤدي بعض وظائفه للتواصل والاقتصاد، يعود فيؤثر ارتجاعاً على الكيان اللغوي ذاته، أي على تنظيم وجودنا وفعاليتنا، لذلك: فإن ما يصيب الكلام من وهن أو تشويش، يفقده قدرته على الإثارة والحفز، أو يطمس دلالاته ويجهض إيماءاته، فترد كل ذلك مؤثراً على وجودنا/لغتنا، بما يمكن أن يهز معالم كياننا الحيوي الأساسي نفسه، فننتعرض إلى نكسة تدهورية أو تشويه محلي، أو كليهما.

جدل الظاهرة مع تشكيلها اللغوي

يبدو أن الظاهرة الوجودية التي يمكن أن تصاغ في "كلمات" هي ظاهرة أسبق وأشمل من التركيب اللغوي الذي يحاول احتواءها، ناهيك عن اللفظ الذي يحاول إعلانها، يترتب على ذلك أن يجد الإنسان نفسه في مأزق حرج وهو يحايل عبور الهوة بين الظاهرة القبلية المتحررة نسبياً من التشكيل اللغوي، وبين احتوائها فيما يمكن التعبير عنه بالتنظيم الإشاري الدال عليها، وأرجح أن هذا المأزق إذا ما وصل إلى بعض وعى صاحبه بشكل أو بآخر، هو من أدق الخبرات البشرية، وأى استسهال في محاولة عبوره، بالقفز فوقه تجاهلاً، أو بطمس الوعي دفاعاً، لابد وأن يترتب عنه إجهاض للمعرفة الأدق، ونكوص إلى اختزال خطر - وقد رجحت أن بعض محاولات تحديد مصطلحات علمية، أو تحديث المعاجم بصورة عصرية متخصصة، إنما يقع ضمن هذا المخطور.

هذه الدراسة هي محاولة للتنبيه إلى هذا الخطر الزاحف الجديد بتشويه أو اختزال ظواهر بشرية نحن أحوج ما نكون إلى التعرف عليها بطريقة أعمق وأشمل.

تظهر آثار هذا الخطر بوجه خاص بشكل محدد في محاولات العلوم النفسية صياغة الظواهر الكيانية الأساسية، والوظائف النفسية الأشمل، في إطار اصطلاحى محدد، لا يكاد يصلح للإحاطة بالظاهرة المعنية، بل ربما يؤدي العملية المعرفية من حيث لا تحتسب، فضلاً عما يترتب على ذلك من تشويه للكيان اللغوي= وجودنا الأعمق.

أبعاد المشكلة

لنتدرج أولاً مع الخبرة الإنسانية بدءاً مما يمكن أن يكون

"قبل اللغة"، منتهين إلى التعريفات الإجرائية، مارين ببعض محاولات الإبداع الشعري، عارجين إلى بعض الأمثلة من السكون أو التحريك المعجمي.

ما قبل اللغة

بالنسبة للكائن البشري، فإنه يصعب - بما هو بشر - أن نفترض أن نمة مرحلة معرفية يمكن أن تعتبر أنها مرحلة "ما قبل اللغة"، ذلك أنه قد توجد مرحلة "ما قبل الكلام" أو مرحلة ما قبل اللغة القائمة (مرحليا)، لكن يبدو أنه **يستحيل أن توجد ظاهرة بشرية أصلا ليست ملتزمة التحاما كاملا بلغتها**، بمعنى تركيبها الحيوى الغائر، أى التشكيل الذى يمثل الهيكل الأساسى القادر على التجلى فى سلوك ظاهرة مثل الكلام وغيره.

عادة لا تصل هذه المرحلة اللغوية الأولية إلى الوعى الكامل فى الحياة العادية، لكنها فى بعض الخبرات الإنسانية الأعمق يمكن أن تقترب من الوعى بدرجة أو بأخرى، وأشهر مثل ذلك هى الخبرة الصوفية التى يعجز صاحبها أو يفرض إحالتها إلى ألفاظ متبادلة. إلا أن طبيعة هذه الخبرات فى هذه المرحلة تحول دون إمكانية تناولها بالأدوات التعبيرية العادية، ناهيك عن الدراسة المنهجية ثم الخضوع للوصف بالكلمات، وبالتالي فهى **مرحلة تنذر بالخطر إذا استسهلنا القفز منها إلى أقرب ما يمكن أن يحتويها من تراكيب كلامية سابقة التجهيز، أو ألفاظ حكمة "ساكنة"**.

التاريخ الطويل (المجهول) للمعرفة الباطنية (أو الجوانبية)، وللتواصل غير اللفظى إنما يشير إلى حقيقة جانب من جوانب وجودنا البشرى لا بد من استنتاجه وتصوره واحترامه رغم العجز عن الإحاطة به، ذلك أنه لا ينبغي أن يكون العجز عن التواجد فى الألفاظ محدودة ميرا للإنكار الدفاعى، وإلا فنحن نتنازل عن أصل من أصول وجودنا الأعمق بلا مبرر إلا الخوف من سوء الفهم، أو القصور عن دقة التناول - وهذا وذاك ميران للحذر، والصبر، والتأجيل، والبحث عن الوسيلة المناسبة، ولكنهما أبدا ليسا مبررين لإنكار الحقيقة الأولية: الأهم والأخطر، وهى: إن الظاهرة الوجودية اللغوية هى أصل الأصول، ظهرت أم لم تظهر فى متناول السلوك، بما فى ذلك السلوك الكلامي.

لزوم الشعر

فى مرحلة الجدل الحركى الولا فى بين الظاهرة الوجودية الأعمق، وهى تتفجر فى علاقات وتركيبات جديدة، وبين مستوى التشكيل اللغوى الجاهز للتعبير عنها، والعاجز عن استيعابها تماما فى نفس الوقت، يلزم الشعر.

ينشأ الشعر، حين ترفض الظاهرة أن تظل كامنة فى ما ليس لفظا متاحا للتواصل،

وفى نفس الوقت حين ترفض أن تحشر نفسها فى تركيب لغوى جاهز (مسبق الاعداد)

فالشعر هو عملية إعادة تخليق الكيان اللغوى بأكثر من آلية على أكثر من مستوى فى محاولة الوصول إلى أقرب ما يشير إلى الخبرة الوجودية المنبثقة، ومع النجاح النسبى لهذه العملية، تزيد اللغة ثراء وإثراء، أى ينمو الكيان البشرى جنباً إلى جنب مع هذا التخليق اللغوى المتجدد، وهذا ما قد يعنيه بعض النقاد والشعراء من أن القصيدة تخلق الشاعر فى نفس الوقت الذى يخلقها الشاعر.

يبدو أن هذا هو ما حضرنى شعراً منذ حوالى ربع قرن، قيل أن أتناول المسألة بأى نظير علمى مثلما أفعل الآن، وهذا بعض ذلك:

تدقُّ باي الكلمة
أصدها .
تُغافل الوعى القديم،
أنتفض .
أحاول الهرب،
تلحقننى .
أكوئها،
فأنسلخ .

أمضى أغافل المعاجم الجحافل،
بين المخاض والنحيب .
أطرخنى:
بين الضياع والرؤى .
بين النبى والعدم .
أخلق الحياة أبتعث .
أقولنى جديداً،
فتولد القصيدة .

1983/9/14

الاحتزال إلى أقرب لفظ سائد

لكن، ليس كل انسان شاعرا (وإن كان ينبغي أن يكون كذلك بهذا المعنى الأعمق والأشمل للشعر)، لهذا فإن الشخص العادى سرعان ما يختزل خبرته اللغوية/الوجودية الأعمق إلى أقرب لفظ سائد، فيتعامل أكثر فأكثر، بأقل فأقل "مما هو"، فضلا عما يمكن أن يكونه، لكن عدم اقتصار الشخص العادى فى تعامله، وظهوره، على "الكلام" كوسيلة أولى، أو وحيدة للتعبير والتواصل المعرفى، لا بد وأن يحفف قليلا، أو كثيرا، من آثار هذه المضاعفة المتواترة، تلك المضاعفة التى تتكثف، وتتفاقم، حين نرضخ لمزيد من تحديد الحركة بتقديس "المقرر" من المصطلحات العلمية وشبه العلمية التى لا تكتفى بأن تظل محدودة فى مجالها المتخصص بالنسبة للعلوم الإنسانية خاصة، إذ هى تمتد عن طريق الوصاية التخصصية، والإغارة الإعلامية معا إلى وعى الناس، تمتد حتى تشغل مساحة رحبة من حياتنا اليومية، وكأنها غطاء لفظى هابط من أعلى، وليست ناتجا طبيعيا هو ثمرة الخبرة من الجذور إلى الساق إلى الفروع فالثمر والأوراق،

وباليت هذا الغطاء "البلاستيك" الهابط من أعلى من صنعنا، بل هو عادة مستورد، معزب أو مترجم غالباً!!

الإغارة الإعلامية

تتمادى أكثر فأكثر الإغارة الإعلامية وهي تلاحق وعى الناس، تفرض عليهم ألفاظا قاصرة، بل وتساهم من جانب آخر فيما يؤدي إلى رخاوة في اللغة، وتخلخل في المفاهيم، وأكتفى هنا بالإشارة إلى ظاهرتي "التعتيم" و"التقريب"، لأن استعمالهما استشرى في التأثير على اتجاهات مجاميع الناس، وحركة مشاعرهم في مجال السياسة والدعاية بوجه خاص، حيث درج المناورون على استعمال الألفاظ المحملة بالمشاعر، والمثيرة للاحتياج، بطريقة تجعل اللفظ مجرد غطاء لإخفاء معالم المحتوى الضائع بين ألعيب السياسة وانفعالات العامة، ومن ذلك فرط الاستعمال المغرض لألفاظ مثل: "الحرية"، و "الديمقراطية"، و"الاشتراكية" و"الثقافة"، و"الحضارة" - حتى أصبح من الممكن أن يبدل اللفظ على الشيء، ونقيضه، أو على الجزء بدل الكل، أو العكس، كما يتغير المضمون بتغير قائل اللفظ وغرضه، في وقت بذاته.

ويساهم سوء استعمال أجمدية بعض العلوم النفسية في تزيير وتشريع هذا الخلط المشبوه القصد، مثلما شاع في إدخال بعض مصطلحات الطب النفسي (السياسي!!!) في مجالات المناورات المفاوضاتية.

دور المعاجم

إن دور المعاجم في إنقاذ اللغة من هذه الفضضة والرخاوة هو دور محدود، وتتوقف آثاره على فهم معنى ومرحلة وظروف كل معجم، إذ ينبغى التنبيه ابتداءً على أن دور المعاجم ما هو إلا إعلان وتحديد مرحلة "في تطور اللغة، وليس فرض وصاية على حركيتها، ولعلنا نلاحظ أن أغلب المعاجم الأقدم تقوم بوظيفتها بأكثر قدر من المرونة حين تعرض اللفظ "في حركته" بأكثر قدر من المرونة في أكثر من اتجاه، حسب موقعه من السياق، أو حسب تشكيله، أو حسب حرف الجر اللاحق به (أو السابق عليه.. الخ)، فهذه المعاجم لا تعطى لفظ تعريفاً محدداً، وإنما تورد مباشرة في استعماله المتنوعة حسب السياق الذي لا يقتصر على الجملة الواحدة، بل قد يمتد إلى الفقرة الكاملة (أو حتى الموضوع) - وهكذا تقوم مثل هذه المعاجم بدورها في عرض "مجالات الاستعمال، وتوجهات الدلالة" أكثر من حبس اللفظ في تعريف ساكن، الأمر الذي يغلب على المعاجم الأحدث فالأحدث، والذي كاد أن يجعل هذه المعاجم الأحدث بمثابة تثبيت لحركة اللفظ حتى الصمود العاجز، وهذا هو الخطر.

السجن الاصطلاحي

فإذا انتقلنا إلى السجن الاصطلاحي (العلمي مثلاً) فإننا قد نجد مبرراً قوياً يؤيد - بل ويدعو إلى - التحديد المبدئي

لضمون أى لفظ يرد فى الاستعمال العلمى، وخاصة، فيما يتعلق باتخاذ منهج إجرائى محدد لفحص ظاهرة بذاتها، إلا أنه فى مجال العلوم الإنسانية خاصة والنشاطات المعرفية المرتبطة بها، لا بد أن ننتبه إلى أن هذا التحديد - مع فائدته المبدئية - إنما يحمل مخاطر الاختزال والتسكين معاً. إن التوفيق بين ضرورة التعريف، وبين مخاطر التقليل والهمود، يمكن أن نجد له حلاً جزئياً بالالتزام بتحديد هذا الاستعمال الخاص فى كل سياق على حدة، وقصره على إجراء بذاته، بحيث يكون إجراء موقوتاً ومشروطاً بشروط الدراسة الجزئية المختصة بجانب معين من الظاهرة المعنية، لكن الذى يحدث فى واقع الحال، فى أغلب الأحيان، هو غير ذلك تماماً، حيث يؤثر الاستعمال الخاص على الاستعمال العام تحت زعم أن ما هو تعبير علمى هو أدق وأصدق مما هو استعمال شائع،

وهكذا يحتل المفهوم العلمى بالمفهوم العام، ثم يأتى دور الإعلام غير المسئول، والاستعمال الاستسهالى، فيتراجع المفهوم العام رغماً عنه لتتوارى الظاهرة التلقائية داخل مفترضات علمية (= شبه علمية) غير جازمة وغير مفيد تعميمها، بل هو حتماً ضار وخطير، فما بالك إن كان كل هذا من مصدر مستورد (مترجم) أساساً؟

من أين نبدأ؟

يصدق ذلك بوجه خاص بالنسبة للعلوم النفسية، كما تتناولها اللغة العربية حديثاً، فقد وقعت فى أخطاء عديدة جعلتها تتحرك فى نطاق شديد الضيق وهى تتناول بعض ظواهر مترامية الأبعاد مكثفة الشمول، مع تحديد بداياتها من "ترجمة لفظية" لما سبق بحثه فى بيئة أخرى، بلغة أخرى، ثم إن هذه الترجمة لا ترجع إلى فحص الظاهرة المعنية أساساً، وإنما تبدأ من اجتهاد معجمى (ترجمى عادة) قاصر، وحتى بعد هذه البداية المشبوهة لا ترجع هذه العلوم إلى التاريخ التضمينى اللغوى لفظ المستخدم، فتكون النتيجة فى النهاية: **أنا نتحرك على أرض لا نعرفها، فى مساحة لا تسعنا، منقطعى الجذور عن تاريخنا من ناحية، وعن نبض وجودنا اللغوى الأصيل من ناحية أخرى.**

حبس مشاعرنا فى مصطلحات مستوردة:

بما أن هذه المضاعفة الأخيرة هى أقرب ما يكون إلى تخصصى، فسوف أقدم فيها بوجه خاص ما قد يدعم ما أزعمه فى هذا البحث من مخاطر حبس مشاعرنا الإنسانية فى سجن المصطلحات المستوردة.

بداً من منطقة بالغة الحساسية شديدة الأثر، وهى المنطقة الخاصة بما يسمى عاطفة أو انفعال أو "وجدان" - سيكون انطلاقى لمناقشة لفظ الوجدان فى أصله اللغوى، بالمقارنة بمحاولة اختزاله إلى مصطلح علمى، وذلك كمثال لما أعنى من أسبقية الظاهرة الكيانية اللغوية على ما يليها من محاولات علمية اختزالية خاطئة، كما سأحاول أن أقدم هذا اللفظ ابتداءً فى حركته المتشعبة، وتوليده المتفجر، لإثبات خطورة

(أو استحالة) اختزاله إلى ماهو دونه، فضلا عما هو غيره، ولعل على ذلك أمجح في بيان قدرة اللغة العربية على الإحياء بالوافر من التوجهات الواجب الاستجابة لها إذا ما أريد الاقتراب الأدق من حقيقة الظاهرة البشرية كما أحاطت بها لغتنا القادرة.

وسوف نواصل غداً تطبيق ما ورد في هذه المقدمة على لفظ "الوجدان" و"الحزن" (الجزء الرابع من مقدمة الكتاب).

- مفهوم المطاوعة العصبية Neural Plasticity يعني قدرة الجهاز العصبي المركزي خاصة على التغير والتشكل، بل النمو والتطور، تبعاً لمؤثرات البيئة واستجابة للتبادل والتنسيق مع المستويات بعضها مع بعض.

- المعلومات Information هنا تعني كل ما يصل المخ البشري من مؤثرات جاءت من الوراثة أو من البيئة المحيطة، ولا يقتصر معنى المعلومة على ما هو شائع من معرفة رمزية محددة.

- بالإضافة إلى ظاهرتي التعتيم والتقريب قمت بنحت لفظ "التلتين" (لتن: استعمل ألفاظاً لاتينية بحروف عربية ونطق عربي، وقد فضلت ذلك عن لفظ التعريب المستخدم لهذا الغرض، لأننا مع إفراطنا في هذه العملية لا نضيف بل ننتقص منها ونمسخها.

- مثلاً: لسان العرب، وأساس البلاغة.

- الوسيط مثلاً (وإلى درجة أخطر: المعاجم القائلة بتخصصها في ترجمة فروع العلوم المختلفة، وخاصة العلوم الإنسانية)

- سبق لي محاولة مراجعة ونقد ثلاثين تعريفاً (بالإنجليزية) لما هو انفعال، أو عاطفة مبيناً قصورها جميعاً عن الوفاء بتحديد الظاهرة المعنية، وحين لجأت إلى استعمال لفظ "وجدان" تبين لي أنه لفظ أكثر احتواءً، وأدق نبضاً من أغلب الألفاظ المقابلة والريبة في لغات أخرى، حتى أنني اقترحت نقله كما هو إلى اللغات الأخرى متى ما نجحنا في استلهام ما يمكن أن يجدد الظاهرة التي يحتويها، أو يشير إليها، انطلاقاً من موقعه في لغتنا نحن، وحينذاك (كما اقترحت) سوف يكتب بالإنجليزية مثلاً هكذا Wijdan: دون ترجمة. (الإنسان والتطور - السنة الخامسة - أبريل 1983 ص 108 - 150).

مقدمة (3/3): عن الوجدان، والحزن

استهلال

قدمنا أمس (يومية 11-17 "كيف لا نجيب الظاهرة في لفظها؟")، وفي بعض حوار أول أمس (يومية 11-16 "بريد حوار الجمعة")، ومنذ بدأنا في تقديم هذا العمل (يومية 14-11 "ماهية الوجدان وتطوره")، إشارات محدودة للخطوط العامة لكيفية التعامل مع هذه الأطروحة (النظرية): حوارا ونقدا، صرا وسحا وقبولا ورفضاً، وانتهينا إلى ضرورة البدء **مما هو نحن**، مما رسخ في وعينا بلغتنا (ونضيف الآن: بالعامية والعربية)، كما نبهنا إلى **التوصية بالعدول - ما أمكن ذلك - عن البدء بالمستورد، وأيضاً عن السجن داخل صنم لفظ تجمّد، أو اختزل ليخنق الظاهرة فيما شاع عنها، هذا هو السبيل الوحيد إذا كنا نأمل في حوار حقيقي، نحن في حاجة إليه، وهم كذلك، مهما اختلفت مواقفنا الحالية على مدرج التقدم/التأخر.**

يمكن اعتبار هذه اليومية بمثابة الجزء الثالث من المقدمة.

... عن الوجدان

لفظ "وجدان" هو مصدر من فعل "وجد" (بفتح الجيم وكسرهما: وَجَدَ، وَجَدٌ) ويختلف مفهوم ومشتقات هذا الفعل واستعمالاتها باختلاف رسمه، وتشكيله، وحرف الجر الملحق به، ثم السياق الوارد فيه.

فهو يتضمن أبعاداً متعددة في مجالات مختلفة، لكنها متداخلة بالضرورة:

1 - ففي مجال ماهو **انفعال/عاطفة**، نجد أنه قد يعنى

- (أ) **الْحَزَنُ**: وَجَدَ في الحزن وجداً، وتوجد فلان: حَزَنَ له، وبدون حرف جر: أنا أجد وجداً: وذلك في الحزن (أيضاً). كما يعنى:
- (ب) **الغضب**: وَجَدَ عليه (في الغضب)، في الحديث: إني سائلك فلا تجد على.

كذلك يعنى:

(ج) **الخب:** وجد به وجداً، في الخب، وله بها وجد: وهو الخبة.
وأيضا
(د) **الكراهية:** أوجده على الأمر: أكرهه.

2 - وفيما يتعلق بمعنى **المعرفة والتبين**: نجد أنه يستعمل عادة بلا حرف جر: **وَجَدَ زَيْدًا ذَا الْخِفَافِ، "ووجدك عائلاً فأعني"**،

وقريبٌ من هذا معنى **العثور على**، أو الحصول على: **أوجده الشيء جعله يجده: يظفر به.**

3 - لكن تَمَّ معنى يتعلق **بالإبداع والخلق:** أوجده الله: أنشأه من غير سابق مثال،

وهو أقرب إلى الوجود بما هو ضد العدم، **وجد:** خلاف عدم.

4 - وتمتد المعانى إلى ما يتضمن ما هو أكثر عيانية فيما يتعلق بالإشارة إلى: **السعة، والكثرة، والبسط،** ومن ذلك: **أوجده الله: استغنى غنى لا فقر بعده،**

5- ثم **الوجد السعة "أشكئوهم من حيث سكتتم من وجدكم"**،

6- وأخيراً **فالوجد: منقع الماء.**

فإذا كان لفظ الوجدان يحمل كل تلك المعانى فكيف نرضي أن نقصره - حتى كمصطلح علمي - على استعمال محدود حتى لو **أقره المجمع اللغوي** اصطلاحياً حين يقرر أن "الوجدان" هو:

أولاً: كل احساس أولى باللذة أو الألم،

وثانياً: الوجدان (يدل) على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة والألم، في مقابل أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة!!

فإذا انتبهنا إلى المحاذير التي قدمناها في بداية هذا البحث راعنا تصور الآثار التي يمكن أن تترتب على أى استعمال ضيق مثل الذى أجازه المجمع، وهو يُبعد لفظ الوجدان بكل إيماءاته السابقة وشموله المتراعى عن أى معنى سوى هذا التعريف الأخير الخامل،

الخوف هو أن ينفصل لفظ "الوجدان"، إذا ما فعلنا ذلك عما هو نبض إنسانى أعقد تركيباً وأشمل إحاطة، وأعلى ولاءً،

ثم هو (الوجدان) سوف يُتلمَّ كأداة معرفية أسبق عن، وأحد من، ما يسمى تفكيراً (تجريبياً)، كما يثبت باضطراد من العلوم الأحدث فالأحدث، فضلاً عن الممارسة العملية على أرض الواقع.

ثم أين يذهب تاريخ اللفظ وتوجّهاته المعقدة المتضفرة في ذات اللفظ بين الدفع العاطفى المتعدد التوجه، المختلف الاتجاه وهو يتحرك بين الإبداع من العدم، مغلفاً بالقدرة المعرفية المدركة إدراكاً سبقياً، متصللاً بالسعة والقوة والرؤى والطمأنينة؟؟

ألا تتجلى كل هذه المعاني والإشارات والتضمنيات في حركية اللفظ مما سجلته بضعة معاجم؟ فما بالك بتاريخه الحقيقي حتى تضمن كل ذلك، وغيره؟!!

أفلا يشير ذلك إلى أننا لو رضينا بالاستعمال الضيق للفظ الوجدان بهذه الصورة المختزلة فإننا نتنكر لحقيقة اللفظ وتاريخه؟

ألا يبعدها هذا الاختزال عن الظاهرة التي نشأ اللفظ أصلا مواكبا لها في محاولة احتوائها أو الدلالة عليها؟، وهي ما نحاول التعرف عليه؟

لا يجتجح محاور بأن الاستعمال الأدبي والعام شيء، في حين أن الاستعمال الفلسفي والعلمي شيء آخر، لأنه إذا جاز هذا الفصل في العلوم البحتة، فهو لا يجوز إطلاقه في العلوم الإنسانية، والنفسية خاصة، ثم إننا بهذا الاختزال - حتى بتوصية المجمع - إنما نلصق لفظا عريضا كلافئة على ظاهرة لم نتبين معالمها أصلا، بدلا من أن نستلهمه لما ينبغي أن نبحث فيه، لأن اللفظ إذ نشأ وتطور، إنما نشأ وهو يلامس ظاهرة ما، ثم هو يحاول احتواءها، فيكشف ويكتشف تعدد وجوهها، وثرأ عطاؤها، فيتحرك في سياقات متعددة ومتنوعة، ثم يلحق به حرف مساعد، أو تسبقه أداة موضحة، فيقترب ويبتعد، ويمتهد لاحتواء مضمون مناسب لما يريد وصفه، ثم يعجز - عادة - فتفويض عن حدوده تولدات الظاهرة الأرحب، فيلاحقها باستعمال جديد، أو يساعده لفظ جديد، وهكذا.

ولقد قلنا سابقا (أمس) إن الظاهرة أسبق من تسميتها، ولكنها ليست بالضرورة أسبق من لغتها الأساسية، ذلك أن التركيب اللغوي الفائز هو أسبق من التحديد اللفظي (المعجمي بالذات) - ونذكر القاري هنا أيضا أن التحديد اللفظي المتنوع في السياق هو أسبق من التحديد العلمي المصطلحي، لكن التحديد العلمي في هذه المنطقة بالذات من العلوم النفسية - يرتد بالأثر المختزل والمشوه لما هو أشمل لغة وأرحب وجودا.

يجدر بنا إذن أن نشير هنا إلى محاولة إبداعية عربية (محدودة ومبتورة) اتخذت من هذا اللفظ (وجدان) منطلقا لتقديم ما أعمته ثورة فلسفية، ولا أقول إن هذا اللفظ بمدلولاته اللغوية هو الذي أوحى لصاحب هذه المحاولة بانطلاقته المبدعة، وإنما أرجح أن صاحب هذه الفلسفة حين نبض برؤيته التي تجاوزت اللغة السائدة، إذا به يجد نفسه يقترب من أصول لغته ليلتقي بأقرب ما يمكن أن يضمه خبرته، وهو لفظ الوجدان المتعدد التوجه، والحاضر حضورا شاملا في أكثر من مجال وسياق، ومع تفاعل الباحث مع لغته، استطاع أن يعيد النظر، وأن يجدد، وأن يضيف، وأن يجتهد، وأن يتخطى سجن الساكن والمستورد جميعا، وأهم ما في فلسفة تيسير شيخ الأرض هذه (بما عليها) أنها تقرر ضرورة الرجوع إلى الوجود، لا القناعة بالمجردات العقلية، حيث "الوجدان أصل الذات التي

يكون العقل جانبا من جوانبها" - ولن أتطرق هنا إلى استعمالات الفيلسوف لكلمة "الوجدان" والتي بلغت أكثر من ستين استعمالا أصيلا، من أول أنه "القبض على الوجود" إلى أنه "الذات الأخلاقية إذا ما أضيف إليها القوة البديعية حيث يصبح الخير والجمال مضمونه النزوعي".

الخلاصة:

أردت من كل ذلك أن أؤكد أن حوارنا مع لغتنا في حركتها الحرة هو الذي يسمح لأفكارنا الجديدة أن تجد ما يحتويها، ولو نسبيا، أما اختصار رؤانا ومشاعرنا إلى أقرب لفظ استعنا به من سبقنا من أبناء ألسان آخر، فهذا هو ما كتبت هذه الدراسة - ابتداءً - لأحذر منه حتى لو كانت سلطة الاختزال هي مجمع لغوى، أو مرجع علمي، أو إجراء بحثي، فحين عاد تيسير شيخ الأرض (على ما هو) إلى أصول لغته في نبض جسده محييا تاريخه: قبض على وجوده (على حد تعبيره) فأبدع وأضاف غير هباب (وإن كان قد شطح حتى تجمد)،

إن استعمال لفظ الوجدان - كمثال- في حدود الوصاية المصطلحية أو المعجمية الأحدث إنما يحتزل اللفظ حتى يضمحل عطاؤه الأصلي، فينكمش بلا فاعلية، وتنطمس معالمه حتى يعجز عن الإجماء والإشارة إلى الاتجاهات التي سبقت الإشارة إليها عبر تاريخه التضميني الطويل، وكذا إلى الاتجاهات الواعدة المتجددة حسب حركة المبدعة.

فماذا عن "الحزن"

إذا كان لفظ "الوجدان" ليس شائعا في الاستعمال اليومي لدى عامة الناس، وقد أثبتنا - بمراجعته - الفرق الشاسع بين تاريخ تضميناته وشول إجماءاته وتنوع تجلياته، وبين قصور تعريفه المصطلحي، فنحن لم نستطع أن نبين مدى أثر هذا الاختزال أو التشويه على الكيان الأعمق لمستعمليه، ذلك لأن الإعلام - مثلا - لا يقحمه علينا بإلحاح ولا حتى أحيانا، كما أن الناس - عامة الناس - لا تتداوله بما يظهر مخاطر اختزاله، لذلك لزم لكمال هذه الدراسة أن ننتقى مثلا آخر أكثر تواترا بين الناس، وسوف أحاول ذلك أملا في كشف بعض حركة الإغارة والإحلال التي تجرى ليحل لفظ مصطلحي ساكن، محل لفظ متحرك مرن متفجر، في حياتنا اليومية، ومن ثم في تحويل لغتنا (ووجدنا) دون وعي كامل أو اختيار مسئول، وقد اخترت لذلك تناول الظاهرة المتضمنة فيما يسمى "حزنا" فأقول:

شاع مؤخرا أن الحزن هو شيء مرفوض من حيث المبدأ، وأنه - دائما - نقيض الفرح أو الطمأنينة والسعادة أو الرفاهية أو كل ذلك .. ومع انتشار هذه الشائعة، على مستوى التصريحات النفسية" خاصة، أخذ لفظ "الاكتئاب" يحل محل لفظ الحزن رويد رويد، حتى كاد أن يصبح أي حزن مهما كان حفزه، أو نبضه، أو اتجاهه، أو توليده، أو غائيته، أو مضمونه، أصبح أي حزن وكل حزن مطالبا بأن يقبع داخل حروف اللفظ الجديد "اكتئاب" - ومع أن ظاهرة الحزن هي أعمق

وأرسخ وأقدم وأدق من كل وصف حاول أن يلمها أو يكتويها أو حتى يحوم حولها، فإن حضورها اللغوي الأصيل قد استطاع أن يقترب من حقيقتها بشكل أو بآخر، ولكن حين تسلك لفظ "الاكتئاب" زحفا على نبضها حنقها أو كاد، فقد تضخم هذا اللفظ (الاكتئاب) وألح (بالعلم والإعلام معا) حتى كاد يطمس كل ما عداه، فينعكس هذا كله على الكيان اللغوي للظاهرة الأصلية حتى يجل - بالتالي - حقيقتها أو يشوه جوهرها، بتحريكها إلى ما ليس هو، أو قل: بتسكينها فيما ليس هي، وهذا خليق بأن يجمد المسيرة الإنسانية في ارتقائها الحيوي والرمزي معا، لأنه ناتج عن وصاية مفتعلة، وليس عن جد طبيعي خلق.

ما هي حقيقة ما هو "حزن" في عمق وعينا؟

الحزن - في عمق أصوله - هو جزء لا يتجزأ من طبيعة الوجود البشري: مواجهة فدفعاً، ولا أميز هنا بين حزن دافع وحزن معجز، لأن طبيعة دورته تجعله يتناوب بطلاً وإسراعاً، وضوحاً وخفاءً، في ظاهر السلوك بما يوحي بمثل هذه التفرقة التي إن سحت، وصحيح بعضها، فإنها لا ينبغي أن تكون كئنة للاستسلام العام لكل ما هو حزن تحت ضغط الإعلاء من مطلب "الرفاهية" كمرادف للصحة والسعادة، بل.. و.. والحضارة (كما شاع مؤخراً)، وبالتالي، ورغم التفرقة السابقة التي ننسأها من إلاح التشويه المنظم للظاهرة الأصل، نستقبل أي حزن باعتباره ضد هذه القيم جميعاً (الرفاهية/ الصحة/ الاسترخاء الحضاري.. الخ) ويتسحب لفظ الاكتئاب بديلاً زاحفا يكاد تمتليء به الساحة.

... عن "الاكتئاب":

ثم نرجع لإلقاء نظرة سريعة على ما يقال له "اكتئاب" كما تجمد داخل المصطلح العلمي أولاً،

ف نجد أنه "الإحساس بالحزن وسوء المزاج"،

أو أنه:

"صعوبة في التفكير.. وكساد في القوى الحيوية وهبوط في النشاط الوظيفي"

أو أنه:

"الشعور بالعجز واليأس وعدم الكفاءة والحزن"،

وهذا كله صحيح بدرجة ما، وفي حدود ما، فإذا انتقلنا إلى كيف عرضت المعاجم لفظ الكآبة، نجد أنها:

أكدت على الكم:

"الكآبة هي شدة الهم والحزن"،

وبعضها أكد على ما هو كسر وانكسار

"الكآبة: سوء الحال والانكسار من الحزن،
واكتأب: حزن واغتم وانكسر،
وأخيراً فقد تصل الشدة والكسرة إلى الهلكة"
أكاب: "وقع في هلكة"

فشروط الاكتئاب لغة - من الشدة والكسرة والهلكة - تبدو لازمة بما لا يترادف مباشرة وبلا تحفظ، مع ما هو حزن (تعميماً).

استسهال وسوء استعمال

إلا أننا من واقع سوء الاستعمال وفرط الاستسهال رضيينا بهذا الإحلال، حتى أصبح كل ما "يكدر المزاج" أو "يهدد الرفاهية" مهما كانت درجته أو وظيفته هو كآبة، وبالتالي فهو مرفوض، خاصة بعد أن انسلخ عما هو حزن بمعناه الأصلي،

ثم إن المسألة ليست في التأكيد على أن ما هو حزن هو أقل شدة من الكآبة أو أصلب عوداً، بل هي في محاولة بيان أن الحزن هو لفظ آخر له مضمون أشمل، قد يحتوى بعض هذه الصفات جميعاً وغيرها، وضدها أحياناً.

عودة إلى الحزن في المعاجم

وباستشارة المعاجم كمنطلق (وليس كمنتهى) نجدنا نكاد لا نرضى ابتداءً بوصف الحزن بما هو مقابل نقيضه، باعتبار أنه لا ينبغي أن نتعرف على الحزن على أنه: "نقيض الفرح وخلاف السرور" ذلك أن لفظ الحزن، وخاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار تنويعاياته التشكيلية، إنما يتضمن غير قليل من إجماعات الجدية والقوة والدفع بحيث يصعب فصل هذه الإجماعات عن متضمنه العاطفي (الانفعالي/ الوجداني)،

فالحزن أيضا :

ضد السهل المنبسط، (حزن المكان حزنا: خشن وغلظ)،

والحزن: ما غلظ من الأرض،

والحزن فيه مواجهة وعناد ولقاء وشدة

"شيخ إذا ما ليس الدرغ حزن، ... سهل لمن ساهل حزن للحن"،

إذن، فليس فيما هو حزن: كسرة، أو هلكة فقط،

وليس فيما هو اكتئاب حفز أو مواجهة أو عناد أو قوة،

لكن الخلط بمضى في ازدياد، والزحف لا يتوقف، حتى دخل اللفظ المقابل للاكتئاب، بالإنجليزية Depression إلى الاستعمال اليومي عندنا معرباً حتى أصبح كثير من الناس يتحدثون عن مشاعرهم العادية بأن عندهم اليوم "دبرشن" قل أم كثر، حفز أم كسر،

وبالرجوع إلى لفظ Depression في اللغة الإنجليزية (الوصية الأولى على وجودنا المستعار) نجد أن هذا اللفظ إنما يفيد أساساً معنى الحزن في أسطح صورته، ومعنى الهبوط في شكله العياني (إلى أدنى)، ومعنى العتامة Gloominess والهمود،

وحتى في الاستعمال الاقتصادي الاجتماعي هو يشير إلى ركود السوق والبطالة، وليس هذا مجال التطرق إلى تفصيل تاريخ

هذا اللفظ بالإنجليزية، أو علاقته ببعض مترادفاته أو مواكباته من ألفاظ أخرى مثل Dejection أو Boredom أو Grief فكل هذا قد ينحرف بنا إلى استطراد مسهب يخرج عن هدف هذه الدراسة، لكنني أشرت إلى اللفظ الإنجليزي لأنه مصدر الإغارة الزاحفة إلى لغتنا العلمية أولاً، ومنها إلى لغتنا اليومية، حتى كاد يصبح هذا اللفظ الأجنبي بأصوله وحدوده هو الوصف المقرر الذي يحدد حركة مشاعرنا، كل هذا ونحن مستسلمون لوهم دقة المصطلح العلمي وإلحاح الملاحقة الإعلامية.

لكن المقاومة الواعية ضد هذه الإغارة المنظمة من خلال حالة الشعر التي تتحمل مسئولية المواجهة العنيدة للحفاظ على لغتنا بتحريكها من أصولها الغنية إلى وعودها المترامية، وأقول حالة الشعر مستعيراً تعبير صلاح عبد الصبور حتى لا يقتصر الأمر على قرص الشعر، ثم أستشهد به شاعراً في مواجهة ما هو حزن في قصيدته "أغنية إلى الله".

(1)

حزنى غريب الأبوين
لأنه تكون ابن لحظة مفاجئة
ما حُضته بطن
أراه فجأة إذ يمتد وسط ضحكتي

الشاعر يبدأ بأن يكتشف في الحزن قدرته على ذلك الحضور المفاجئ، الذى لا ينفى تراكما سابقا صامتاً، وهو أيضاً في هذا المقطع يعارض ذلك الاستقطاب المعجمى الذى يضع الحزن والفرح على أقصى طرفين متباعدين متضادين، فهو يكتشف حزنه ممتداً وسط ضحكته، ثم يروح يصنف الحزن كما عاشه، (يعيشه) لاكما فرض عليه (أو استورده).

(2)

لقد بلوتُ الحزن حين يزحم الهواء بالدخان
فيوقظ الحنين

ويهمنى هنا - رغم تحفظي في نقد سابق - فعل "يوقظ"، وإلى درجة أقل "الحنين"، لما في ذلك من إشارة إلى قدرة الحزن على الخفز والبعث، ثم إلى ارتباطه بالعلاقة بالآخر - وكل ذلك يتنافى مع ما يشيع عن الحزن (بعد زحف الاكتئاب المصطلحي عليه) من إعاقة وهبوط هامد، وهو يفتح وعينا لحركته المتحدية الأقوى.

(3)

ثم بلوتُ الحزن حين يلتوى كأفعاون
فيعصر الفؤادَ ثم يجنُّهُ
وبعد لحظة الإسار يغيثُهُ

وهنا يجدر بنا أن نستعيد ما ذهبنا إليه لنؤكد - من واقع لغتنا العربية - هذه القدرة الطاغية التي يتمتع بها الحزن (هذا الحزن) في إغارته المتمكنة على حركية المشاعر.

(4)

ثم بلوتُ الحزن حينما يفيض جدولا من اللهب

ومن جوف هذه النار المتدفقة (جدولا)... يشرق الجديد نورا
بعثا:

(5)

يتجمع في إشراقة الغد

(6)

ثم يمر ليلنا الكئيب
ويشرق النهار باعثا من الممات
جذور فرحنا الحبيب.

أخيرا، ولأول مرة يستعمل صلاح لفظ "الكئيب"، في زمن يمضى، دون مواجهة؛ وفيما يتعلق بما هو "مات"، وكأنه قد التقط ما في لفظ الكآبة من فراغ ساكن، بالمقابلة بما استشعره في الحزن من حركة باعثة، حتى أنى رجحت أن جذور هذا الفرغ لم تزوها إلا نهر الحزن، فدبت الحياة في الكآبة الممات:

(7)

لكن هذا الحزن مسخ غامض غريب

وهكذا واصل الشاعر مواجهته للظاهرة في حركتها الجدلية المولدة، فتبين له بعد آخر، لعله النقلة بين ما هو حزن، وما هو اكتئاب، حين يعجز الأول أن يبعث، أن يولد، أن يفجر، فلا يعود حزنا، أو هو حزن لم يألفه، لا يعترف به، وكأنه يرفض - معنا - أن يكون هو حزننا الذي يركنا، فلعله الحزن المفروض علينا شائها، أو مستوردا، أو مجهضا، أو عنينا:

وبعد

بنظرة متأنية فاحصة لجدل الشاعر مع لفظ الحزن وهو يعايش الظاهرة المحتمل أن يحتويها، نجد أنه نجح بدرجة مناسبة في أن يعيد تخليق التراكيب اللغوية المتضفرة، والمتألفة، والمتناقضة، والمتعاقبة، والمتبادلة، بأمانة مغامرة دون أن يركن إلى مضمون سابق، أو يجبس نفسه في إجماعات مصطلح ساكن، أو معجم خامل،

فهكذا الشعر.

مقتطف من شعر الكاتب

وقد يكون مناسبا أن أعرض لمحة من خبرة خاصة حين هاج بي
الوجد شعرا في مواجهة ما يلقيه مرضى في وعبي وخاصة حين
يرفضون، وأرفض معهم، أن تُخترَل خبراتهم إلى مصطلح تشخيصي
عاجز، أقول هاج بي الشعر فرحت أصف الحزن من خلاهم، وخلا،
قائلا:

يتجفز حزنٌ أبلج

حزنٌ أرحب من دائرة الأشياء المنثورة
الأشياء العاصية النافرة الهيجي
حزنٌ أقوى من ثورة تشكيل الكلمات
حزنٌ يصرخ بكما

يُشْرِقُ الْمَاءُ
حزن يستوعب أبناءَ الحيرة
يجمع أطرافَ الفكرة
يوقد نارَ الأحرفِ والأفعال
حزنٌ يحنو، يُدمي، يُلْهب، يَضْرخ،
يحیی روحاً ميتةً صُجرةً.

يحیی الرخاوی 6-5-1982

أكتفى بهذا القدر، لأن قصدي إلى عرض مثال متواضع لعه
يبين كيف يقوم الشعر بثورته على محاولة سجن المشاعر
والظواهر الأثمل داخل المصطلح اللفظي الساكن، ناهيك عن
المصطلح العلمي القابض الشائع

وللأمانة فلابد من الإشارة إلى ما تحدان في اتجاه معاكس
وأنا أراجع لفظ الحزن في التنزيل الحكيم مما لا مجال لتفصيله
هنا

بعض مترادفات الحزن

وقد يكون مفيدا بنفس الدرجة، أو أكثر أو أقل، أن
نتنقل إلى بعض مترادفات ما هو حزن، نستلهم منها أبعاد
الظواهر الإنسانية (النفسية) في أصولها، لعلنا نتحمل
مسئولية فحصها كما هي، وكما توحى به، لا كما نستورد
شبهاتها، بما تطمسنا فيه، ولا أجد متسعا في هذا المقام
لأستطرد مطولا، لذلك فسأكتفى بالإشارة إلى لفظ قريب وهام
يبدو أنه شغل الشعراء الأقدم، كما شغل لفظ الحزن، الشعراء
الأحدث، وفي نفس الوقت، فقد وجدت في شكله وحركته ما يستلزم
الإشارة إليه هنا كمثال توضيحي مساعد، ألا وهو لفظ "الهم"،
بادئا بالعلاقة بين ما هو "هم" وما هو "همة"

عن الهمّ والهمة

الهم لغة ينتمي أساسا إلى العزم على القيام بأمر ما
"هم بالأمر ولم يفعله"، لكنني لم أرتح للاستسلام

هكذا لشرط أنه لم يفعله، اللهم الا إذا أضفنا لفظ
"بعد" أي أنه "لم يفعله بعد" - ذلك أني حين عايشة اللفظ من
الممارسة الذاتية والمهنية والإبداعية، رجحت أن ثمة علاقة
خليقة بالعناية ما بين الهم بمعنى الحزن، والهم بمعنى العزم
(علي)، والهم بمعنى الشدة (بما يحمل معاني الجدية والصعوبة
والقوة جميعا، المهمات من الأمور الشدائد) - وكل هذا
يقربنا أكثر فأكثر من المعاني الإيجابية التي استوحيناها من
حركية لفظ "الحزن" فكلاما (لفظا الحزن والهم) إنما يؤكدان
كيف أن الظاهرة التي تشملهما أو تجمعهما أو يجمان حولها..
الخ، هي ظاهرة تتحرك لغويا/كيانيا، من المواجهة إلى الألم إلى
العزم إلى الشدة بما يشمل الخشونة والصلابة، وكل ذلك يناقض
معنى الكآبة (كما قدمنا) لغة ومصطلحا.

وأجده مناسباً هنا أن أخرج إلى ابن عربي كمثال لخارب صوف
فحل، لم يجسه عجز الكلام المتاح عن محاولة وصف خبرته
الفيضانية المنطلقة، فراح يبتدع لغته المتجاوزة بكل إصرار

ومغامرة، وأجد في هذا الاستشهاد ما قد يوضح بعض ما ذهبت إليه في أول هذه الدراسة حين أشرت إلى أزمة المتصوف حين لا يجد خبرته ما يحملها - بأمانة واحاطة - من ألفاظ، اللهم إلا من خلال مثل هذه المغامرات الشعرية الخطرة.

الهمّة عند ابن عربي : قوة وطاقة محرّكة، وفيها يقول: "إنها تتوجه كطاقة بجرّعة عشقية" وأنها "تحمل صاحبها: ترقى فيترقى" - وكأنّ ثمة علاقة جدلية بين "همة" و"إرادة" الوصول، فيناقش ابن عربي مراتب الهمّة من همة "تنبه"، إلى همة "إرادة"، إلى همة "حقيقة"، فيتدرج بذلك مع يقظة الوعي إلى تعظيم القدرة (النفس إذا تجمعت أثرت في أجرام العالم) إلى التكامل مع اللامتنامى (جمع الهمم بصفاء الإلهام)

وأكتفى بهذا المدخل الذى أوضحت من خلاله كيف حاول ابن عربي أن يطوعه لوصف درجات وعيه لأنبه أن الهم -هكذا- إنّما يشير إلى ما يشير إليه ما هو حزن، مما يتواكب مع الوعي بآلام مواجهة الواقع بحجمه الموضوعى، وقد تصبح الصورة أكثر اقتراباً فوضوحاً إذا استشهدنا بموقف بعض الشعراء القدامى ما هو "هم" بالمعنى الذى رجح عندنا:

يقول ذو الرمة:

وكنت إذا ما الهم ضاف قرئته
مواكبةً ينضو الرعان ذمّلها

فالهم هنا يأتى ضيفاً، فيكرمه الشاعر ويمجّن وفادته، إذ يواكبه صبراً وتقبلاً وتحدياً وترويضاً واثقاً من أن تقبله لهجمة الهمّ "الرّعناء"، يمكن أن يجتوبها تقبله الهادئ لها، ومواكبتها حتى تزاجع حدتها من حسن استقبالها، بهذا الموقف الواعى وكم هو أرقى بكل قياس مما أصاب مشاعرنا ومواقفنا نتيجة لاعتبار كل "هم" عدواً مقتحماً علينا أن نرفضه ونطرده، أو ننكره ونخفيه، مقارنةً بإكرام وفادته وحسن استقباله التى نتعلمها من ابن الرمة، وهذا ما يجعلنى أعجب كيف جعلنا الهم جسماً غريباً ونشازاً منفراً ينبغى التخلص منه أو إخفاءه، نفوراً: ورفضاً طول الوقت.

أما امرؤ القيس، فهو يلتقى بالهم، أو بأنواع الهموم، فى اختيار وجودى مواجه حين يرعى الليل - كموج البحر- سدوله

"على بأنواع الهموم ليبتلى"،

أو: وامرؤ القيس يتلقى الهموم بهيجها الشوق روادعا
"وهاج بى الشوق الهموم الروادع".

أكتفى بهذا القدر مرجحاً أن همّة ابن عربي فى ترقيها المتصاعد، ليست بعيدة عن همّ ذى الرمة الضيف المواكب، أو عن هموم امرؤ القيس المختبرة والروادع،

وبعد

أردت بكل هذه المقدمة أن أنبه على أن البداية لابد أن

تكون من لغتنا الغائرة في كياننا - وليس من المصطلح المجلوب إلينا - جاهزاً من ثقافة أخرى لها تاريخ آخر، هذا هو السبيل الصحيح للتعرف على حقيقة مشاعرنا وطبيعة وجودنا وحركية وجداننا، ثم التعامل معها في الصحة والمرض.

أعتقد أنه يحق لي بعد عرض هذه الأمثلة أن أحدد ما ذهبت إليه في بداية هذه الدراسة في صورة **ترجيحات غالبية**، لابد وأن تحتاج إلى مزيد من البحث وإعادة النظر، ومنها:

- 1 - إن الظاهرة أسبق من لفظها.
- 2 - إن لسان كل أمة هو تاريخها الحيوى المتراكم في عمق وجودها الآنى، ولغتها بالتالى هى منطلق معارفها في مجال ما هو ظاهرة بشرية "معرفية/وجدانية".
- 3 - إن اللغة - حتى بحضورها المعجمى المحدود - في حركتها الموحية، هى المصدر الأول (وليس الأخير) في تحديد التوجه نحو ما ينبغى - ويمكن - دراسته من ظاهرات.
- 4 - إن الجدل بين هذا المصدر الأول، وبين الموقف المتجدد منه هو المجال الأصيل لتحريك اللغة وتوليدها، لاحتواء الوجود وتجديده، وهذا هو الشعر.
- 5 - إذن، فإن ما يسمى بالعلوم الإنسانية، والنفسية خاصة، ينبغى أن تستلهم مادتها من لسان أهلها، لا أن نستوردها ابتداءً من "سلوك" أو لغة غيرها، كما ينبغى أن تستلهم منهجها من جدل الشعر، لا أن تنقله من قياسات الظاهر، وبهذا فقط: يمكن أن تؤصل وتضيف، لا أن تختزل وتعيق، بما يفيد كل البشر هنا وهناك وعلى مدى الزمن.

الإثنيون 2007-11-19

80- مقتطف وموقف... عن الشهر والنشر

قبل المقتطف:

المقتطف من كتاب أسامة الدناصوري (وليس الديناصوري، نبهنا إلى ذلك، وأصرّ، وتنازل، ثم أصرّ ..) أنهى الكتاب (أعنى الكتابة) في 2006/12/8، ومات.

مات وهو ينتظره (الموت)، ويتمناه، ويتحدها، ويرحب به، ويرفضه، وينتصر عليه بموته هكذا، مات يوم 2007/1/5 (أقل من شهر)

قرأت الكتاب مرغما بمناسبة أنه سوف يناقش في ندوتنا الشهرية 2007/12/7، تلك الندوة التي كنت قاطعتها محتجا لأول مرة منذ أكثر من ثلاثين عاما الشهرين الماضين لأسباب ذكرتها (يومية 2007-10-28 "هرمان هسه وتجليات التعدد إلى التكامل (إليه.. 1")، أعود لها مضطراً فأتعرف عليه بعد أن رحل، أعود احتفالاً بموته، أعنى احتراماً لموته.

كان ابني محمد - لم يطرق باب الشعر قبلا- قد كتب قصيدة (لم يسمها كذلك) نشرث له - على حد علمي- لأول مرة في أخبار الأدب [العدد741] بتاريخ 2007-9-23 كتبها في هذا الذي جرى، مجرى، أعطاني القصيدة، أو ربما هالة ابنتي - زوجته- هي التي أعطتنيها، كان متردداً، فهو عادة لا يعطيني ما يكتب، ولا ما ينشر، ولا ينبهني إلى ما يفعل، هو على وشك بلوغ سن أسامة بعد شهرين (46 عاماً!)،

ربما كان أسامة صديقه، وربما لا، أنا لا أعرف أصدقاء محمد،

مرة غامرت وعرفت بعضهم عن قرب، رفضون بقدر ما رفضتهم، فهمت وابتعدت،

لكنني كنت - ومازلت حريصا- على استمرار صداقتهم مع بعضهم لبعض، أفرح بهم من بعيد لبعيد، لا أريده أن يصير مثلي، هو دمث في حدود ما أعلم،

أنا أخطب فيمن يقترب بلا هوادة، ولا استئذان لايتحمل، لايستطيع أن يردّ لي تحببتي، مع أني أسمح "بمعاملة المثل" (وهل تمّ تحبب بعد سماح؟!)

ينصرف من اقتراب،

لا أندم
ولا أفرح
وأنتظر

يطول انتظاري، فأنتظر.

قرأت قصيدة محمد، كتب في قصيدته .. "أعرف أني لا أعرف معنى الحب" هل توجد صداقة بلا حب..؟

نعم!!

لماذا نصرّ على أن نسقى الأشياء؟

فما بالك بالعواطف؟!

قرأت كتاب (كتابة) أسامة حتى أتعرف على محمد إبنى، وربما تعرفت على صديقه أوضح، أو على نفسى والفضل كله لأسامة الدناورى"،

الذى ذهب ولم يذهب،
مع أنه لم يحضرن قبلاً.
الكتاب (قبل المقتطف)

لم أعد أفضل استعمال كلمة ملحمة، مع أنى رحبت بها حين وضعها شيخنا نجيب محفوظ قبل الخرافيش، الكتاب قصيدة ملحمة طويلة كل من يذكر رواية الخرافيش، دون أن يذكر أنها "ملحمة الخرافيش" لم يلتقط المراد،

أضفت كلمة "ملحمة" قبل اسم روايتي "الجزء الثالث من ثلاثية المشى على الصراط"، التى ستصدر عن الهيئة العامة خلال أسابيع ، ظل اسمها مدة طويلة "الرحيل والعود" وفجأة أضفت كلمة ملحمة دون اقتناع، كنت قد بحثت عن أصل كلمة ملحمة فى نقدى "لملحمة محفوظ، ووجدت لها تعريفاً مناسباً يليق بملحمة الخرافيش، لكننى لم ألتزم به على علاته، فتجرات وأسميت الجزء الثالث من ثلاثيتي: "ملحمة الرحيل والعود"، وفى انتظار نقب قاس (إن وجد أصلاً) أحمل مسؤولية ما فعلت!

كتاب (كتابة) أسامة الدناورى ملحمة بالمعنى الجديد الذى ارتضيته، دون أن أحتاج إلى تعريف جديد

إذا أردت أن تقرأ الكتاب من أسخف مدخل فاقرأه باعتباره سيرة ذاتية.

أما إذا أردت أن تتسع ساحة تلقيك له بما يستحق، فاقرأه من خلال ما سجله محمد بدوى على ظهر الغلاف... هو "كتابة فضاء المرض وتجربته".

ولا حتى ذلك،
مع أنه قريب من ذلك.
فماذا هو:

أنا شخصياً قرأته، باعتباره قصيدة ممتدة، (أو اكتشفت ذلك بعد أن انتهيت منه)، رفضت أن أسيها في البداية، لكن كل العناوين التي خطرت لي كان بها كلمة "الموت"، لماذا؟ مع أن المؤلف (من واقع قصيدة محمد) لم يمت بعد؟

منذ كتب أدونيس في رثاء صلاح عبد الصبور "الموت: ذلك الشعر الآخر"، وأنا أقتطف قوله هذا وأعود إليه دون أن أزيد عليه أو أشرحه،

انشغالي بحكاية الموت هو هو انشغالي بحكاية الحياة،

كلا الانشغالين لا مبرر لهما، -على قدر علمي-

لا أعرف نوعاً آخر من الأحياء تشغله هذه القضايا السخيفة في أي مستوى من مستويات وعيه،

مؤخراً، حين توقفت عن الانشغالين معاً، وجدت نفسي أعبر الحاجز بين الحياة والموت،

خرجت من التجربة منتبهاً إلى أن كل المطروح علينا هو أن نقرر إن كنا سنختار الحياة طالما نحن مازلنا نسمى كذلك (أحياء) أم لا، حتى لو اخترنا الموت بوعي مسؤل، فقد اخترنا الحياة.

أسامة اختار الحياة وهو يعيش الموت كل دقيقة، بل كل ثانية، اختارها بملء وعيه، اختارها ضد كل الحسابات، وكتب كتابه "كتابته" فوصلني من خلالها اختياره الأصعب من الصعب، هذا ...

قصيدة محمد

أتوقف الآن فجأة، وأترك أسامة، أو أذهب إليه من باب آخر، من خلال صديقه، أحاول أن أتعرف عليه من قصيدة محمد، اكتشف أن عناؤها فيه كلمة الموت، لكن في صيغة الفعل المضارع "يموت" "رسالة إلى رفيق يموت"،

محمد كتبها ربما بعد شهر أو شهرين من موت صديقه، فلماذا؟ الفعل المضارع "يموت"،

أول مقطع فيه دعوة للقتل
"...أو حاول قتلي لأموت أنا بدلا منك".

...لكنه سرعان ما يقرر أن الدورة دَوارة وهو يؤكد لصديقه:

"لكنك ستموت، وقريبا جداً"،

وللأسف هو يختم القصيدة بنفس الموقف (لا نفس المقطع)،

"حاول قتلي بدلا منك،

لكنك أنت الأقرب،

ستموت قريبا جداً،

وستعرف".

لاحظت اختفاء كلمة "لأموت"

في البداية قال: حاول قتلي لأموت أنا بدلا منك

وفي النهاية قال

"حاول قتلي بدلا منك"

لماذا أنت واثق هكذا يا محمد أن صديقك سيموت؟

"وقريبا جداً؟"

إذا كان الخلود مستحيلاً -كما بينت في نقدي في ملحمة الخرافيش- فإن الموت أكثر استحالة حين قال نجيب محفوظ على لسان جلال (جلال الأول: صاحب الجلالة)

"الموت لا يجهز على الحياة، وإلا أجهز على نفسه" (هـ 64)
عقبت على ذلك ناقدًا (هـ 95) هكذا:

.. الموت (لا الولادة الجسدية) هو البداية، والحياة هي إرادة التخلق من يقين الموت والوعى به، "ثم أضفت كيف أن محفوظ حدد مسرح ملحمة .. في المر بين الموت والحياة"، وليس **بين الولادة والموت**، فالموت هو الأصل، والحياة احتمال قائم،
أترجع الآن لأنه يبدو أن الذى يخلق الحياة ليس يقين الموت والوعى وإنما هو الموت ذاته!!

هل بلغك بعض ذلك يا محمد؟ هل صديقك أسامة "يرغب" (فعل مضارع) فعلاً أن يمضى فوراً؟

لماذا هذا اليقين يا "محمد" وأنت تقول:
أعلم -علماً تاماً- أنك ترغب في أن تمضى فوراً
هأنت استدركت قائلاً:

لكن ينقصني تمام العلم!!

شكراً

لم يصلني من كتاب (كتابة) أسامة أنه رغبَ أبداً أن يمضى فوراً
استأذنيك يا محمد نعود إليه لأسامة .
ياه!!

ما كل هذا؟

عنوان اليومية هو "عن الشعر والنثر"
والباب الذى سمح بذلك هو: **مقتطف وموقف**،
أين المقتطف وأين الموقف؟

المقتطف الأول

نبدأ بجان بول سارتر في كتابه ما الأدب

".... وعلينا أن نسجل هنا تفرقة أخرى: هي أن ميدان المعاني إنما هو النثر؛ فالشعر يعد من باب الرسم والنحت والموسيقا. وقد لامني قوم زاعمين أني أبغض الشعر محتجين، لزعيمهم، بأن مجلة العصور الحديثة Les Temps Modernes قلما تنشر شعراً.. ولكن في هذا الدليل على أننا نحبه، على خلاف ما يزعمون".

وحسبنا في إقناعهم أن يلقوا نظرة على الإنتاج الأدبي المعاصر ليروا فيه ضالة الشعر.

يقول هؤلاء الناقدون في زهو المنتصر: "الن تستطيع مجال أن تحلم بجعل الشعر "التزامياً"؛ وهذا حق. و(أنا) لم أزم إلى هذا؟ لأنه يستخدم الكلمات كالنثر؟ ولكنه لا يستخدمها بنفس الطريقة؛ بل لنا أن نقول: إنه لا يستخدم الكلمات مجال، ولكنه يخدمها. فالشعراء قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية.

المقتطف الثاني

تذكرت هذا المقتطف الأول من سارتر بمجرد أن قرأت فصل أسامة، "عن الشعر والنثر" (89 - 104)، رحلت إليه، ثم عدت إلى أسامة فوجدته قد حلّ الأشكال تقريبا هكذا:

"الشعر والنثر وطان، مختلفان، ومتمايزان. كلّ له ناسه، ولغته، وطقسه، وأشجاره، وثماره.

كنت أسكن أرض الشعر، وأعتبر نفسي مواطناً من الدرجة الأولى.

ولأن أرض الشعر أرض فوق واقعية، فهي ليست هي بالضبط في عين كل قاطنيها. فالبعض يراها واحة خصبة، وأرضاً، ثمرة، وأشجاراً خضراء طوال العام. والبعض الآخر يراها جرداء وعرة. يظل يسير فيها فراسخ وأميالاً، عابراً السراب تلو السراب، حتى يظفر في النهاية بشجرة وحيدة، تتدلى منها ثمرة واحدة يتفياً ظلها قليلاً، ثم يعاود السير، بعد أن يبتل ريقه بالعصير الخلو، وهدأ معدته.

كلا البعضين يشفق على الآخر .

فالأول من فرط إشفاقه على الثاني لا يراه. أما الثاني، فإنه يرى الأول جيداً، ويعرف كم هو بائس. ويعرف أيضاً أن ما يكنزه من ثمار. ما هي إلا (زُنُجُت) لا يصلح لشئ.

أما أرض النثر: فهي كالغابة المتشابكة الأغصان، كل أشجارها ثمرة، وقريبة المنال. لكن الثمار المرجوة دائماً خفية. إذ لا يراها سوى قاطنيها. لا .. ليس كل قاطنيها. بل ذلك الذي يمكنه أن يكون حطّاباً، وطالع نخل، وصيداً، ومستكشفاً، وقصاص أثر، في شخص واحد. حتى تمكنه الغابة من ثمارها العزيزة.

لقد غزوت أرض النثر مرات معدودات من قبل. في كل مرة كنت أتسلل على وجل واستحياء، وأعود سريعاً، بعد أن أختلس ثمرة صغيرة.

الآن، بعد أن تجرأت وتوغلت قليلاً، أوشك أن أقول:

(بائس هو الشاعر الذي لم يعرف النثر أبداً)

(الحياة نثر)، وما على الكاتب سوى أن ينقلها من واقعها إلى الورق.

ولكن السرّ كله يكمن في عملية النقل هذه:

كيف ترى نثر الحياة: ومن أية زاوية، وأى المفردات يستوعى انتباهك أكثر من الآخر؟

ثم الغلالة الرقيقة، التي تغلف المشهد الذي وقع اختيارك عليه.

تلك الغلالة التي هي روح الكاتب، ومزاجه الخاص. والتي تحوّل تلك المشاهد إلى نصوص.

المشاهد الغافلة، التي تسبح في ديمومة الوجود. والتي تنزلق عليها الأعين دون أن توليها أى قدر من الاهتمام.

إلى أن تأتي عين الكتاب، فتضعها بين قوسين، ثم تنقلها مجرد إلى الورق، لتبدأ حياة جديدة لا تنتهى.

هذا المقتطف الثانى من كتاب (كتابة) أسامة، نخرج منه برؤية مختلفة لما أسماه نثراً، إن المسألة ليست في تقسيم خطابنا الأحداث شعراً أم نثراً ولا في تعريف أى منهما، وإنما هي في التعرف على حركية اللغة من خلال كل منهما، دون حاجة إلى الفصل بينهما تعسفاً.

طيب، ألهذا أسيئت كتابة محمد هذه "قصيدة" ؟

ثم إننى حين بدأت يومية اليوم، قلت إن كتاب (كتابة) أسامة قد وصلتني قصيدة ممتدة،

فليكن المقتطف الثالث والأخير هو ما كتبه محمد في صديقه، لصديقه، عن صديقه، عن نفسه، لنفسه، لى، وقلت أنهى اليومية باقتطاف محدود من تلك القصيدة.

حاولت أن أقطع مقطعاً أو اثنين من القصيدة فلم أستطع،

خفت أن أظلمه، فقلت:

ماضرنى لو أثبتتها كلها، ثم أعلن موقفى من كل ذلك فيما بعد؟!

فها هي ذى :

المقتطف الثالث والأخير:

رسالة إلى رفيق يموت

ستموت قريباً جداً.

ابصق في وجهى، أنت ومن يرغب في أن يراقبك،

أو حاول قتلى لأموت أنا بدلاً منك،

لكنك ستموت،

وقريباً جداً

(1)

ها أنت وقد أصبحت

تعرف وحدك

ما كنا نسعى نعرفه سوباً

ها أنت وقد أصبحت تعالين ما يهجس أحياناً،

إذ أستشعر موتى يمشى جنى
ها أنت وقد أصبحت الأقرب.
ابصق فى وجهى واكْرهْنى،
أو حاول قتلى بدلاً منك
لكن فلتسعد بالحظ الطيب
ولتأمل فى وصل طيب
أو

فلتسعد بالوصل الطيب
ولتأمل فى حظ طيب

(2)

أعلم - علماً تاماً - أنك ترغب فى أن تمضى
قوراً
أعلم أنى أرغب فى أن أمضى فوراً - أيضاً -
لكن ينقصنى "تمام العلم"

أنت الأقرب
أنت الأوثق والأؤكد
لا تحسبنا، نحن الأضعف،
نحن المازلنا لم نتأكد بعد
لا تتردد واذهب، وافرح بمضيك نحو يقين مطلق.

لا تحسب أن العدم هناك
لا تحسب أن هناك عدم

حسبك أنك أنت الآن هنا
وهو الممكن إثباته،

أو غاية ما يمكن إثباته
هل تقدير أن تثبت شيئاً آخر عني لى؟
أو عنك لك؟

(3)

هل أحببتك يوماً؟

هل ما زلت أحبك؟

أعلم عني، أما عنك فجاوب أنت
أعرف أنى لا أعرف معنى للحب

لكن، أيضاً أعرف : أن مماك جعل ماتى يمشى
جنى

أنت الأؤكد

وتأكدت الآن

أن حياتى كانت تمشى جنب حياتك أيضاً
لا أعرف كيف

إلا أن فرأك ذكرنى برحيلى
ذكرنى أنى لست قريباً منهم
ذكرنى أنك أنت الأقرب منه:

"الينتظرك"

وأنا أسعى

وخذى أمضى

وحدك تمضى

لا أعرف إن كان الينتظرك ينتظرك.

.....
 هل أخببتك يوماً؟؟
 هل ما زلتُ أجئك؟؟
 ولماذا يبدو أنني لم أعرف إلا الآن؟!
 (4)

أنت الآن الأقرب؛ فارشدي
 هل تتألم؟
 هل يلزم أن نتألم؟ .. ولماذا؟
 لا! لن أسأل "ولماذا"
 فد "لماذا" تُزللنا الآن...
 من مرتبة أعلى للأذنى
 لكن قل لي، علمني
 هل أصبحت محبب الألم الآن؟؟
 هل وافقت؟؟
 أما زلت تعارض/ترفض؟؟
 أخلم أنني يوماً لن أرفض
 أخلم أنني سوف أعلم نفسي أن أستسلم
 لكن: كيف سيصبح ألمي ألماً
 إن لم أرفض؟؟
 أنت الأعرف؛
 قل لي همساً: هل تتألم؟
 قل لي ولو في السر:
 هل أنت هناك؟ هل تعرف بعد؟
 يا جئتك: أنت الأقرب.
 ابصق في وجهي واكزهي
 أو حاول قتلي بدلاً منك
 لكنك أنت الأقرب.
 ستموت قريباً جداً
 وستعرف.

الموقف:

أي موقف ينتظره مني القارئ/ الزائر، بعد كل هذا؟
 تجاه أي مقتطف من كل هذا؟
 كتاب أسامة؟
 أم المقتطف من رأى أسامة في الشعر والنثر؟
 أم المقتطف من سارتر؟
 أم قصيدة محمد؟
 سبق أن اقترحنا عنواناً جديداً هنا في اليومية اسمها
"مقتطفات بلا موقف"
 هل يجوز هذا العنوان لهذه اليومية تصحيحاً للعنوان
 الأصلي؟

81- المخ البشرى بين التفكيك، والغسل، وإعادة التشكيل

المخ البشرى بين التفكيك، والغسل، وإعادة التشكيل (الإبداع)

وجدت هذا الموضوع في حاسوبى مسبق بوقت ومكان كتابته هكذا: **العلمين (يعنى مارينا ولا مؤاخذة) في 18 أغسطس 2007، مقال مطلوب لصحيفة الحياة اللندنية، ولم أعلم حتى الآن إن كان قد نشر أم لا ، حيث أنى لست من قراء الحياة اللندنية، غالبا مثلى مثل أغلب زوار هذا الموقع، فوجدت أننا - القراء وشخصى- أول به، فأنزلته في يومية اليوم ليكون في متناول زائر الموقع هكذا دون تعديل جوهرى، مع إضافة ما بين قوسين بالبنت الأسود أعلاه (يبدو أنى كنت أحجل أنى كتبته هناك، لماذا؟).**

هل تسمحون بتكرار مثل ذلك؟

المقال:

الحديث عما يسمى (أو كان يسمى) "غسيل المخ" أصبح في حاجة إلى تحديث جذرى، فالخ ليس وعاءا يمكن أن يتسخ فيغسل مما فيه، ولا هو مخزن للذكريات والمعلومات والمعارف، يحتاج إلى أمين مخزن يحافظ على ما به من السرقة أو التلف أو الاستبدال ببدائل مزيفة، المخ البشرى - جنبا إلى جنب مع الجسد والخس وما بعدهما - هو كيان حيوى نابض دائم التفكك والتشكّل بشكل منتظم، المفروض أنه هادف وإيجابي.

من جانب آخر لا يخفى على أحد كيف قفزت تكنولوجيا الأدوات والمعلومات والتعلم والتعليم والإعلام مؤخرا قفزات عملاقة واعدة وخطرة في آن، بما ينبه إلى خطورة تأثيرها بطريق مباشر أو غير مباشر، في كل من تركيب ومحتوى المخ البشرى (والكيان البشرى)، فإذا أضفنا إلى هذا أن إدارة أدوات هذه القفزة العملاقة المتعددة التجليات، تتحكم فيها قوى ليست فوق مستوى الشبهات، وأيضا إذا أضفنا أن الذى يتحكم في هذه الأدوات هي سلطات مشبوهة، غير ظاهرة للعيان غالبا، لأدركنا مدى أهمية فهم ما يجرى ومحاولة الخيلولة دون خطره.

غمى حكام العالم (الحقيقيين)

إن الذى يحكم - ويتحكم - فى الناس، كل الناس!!، فى عصرنا هذا ، فى وقتنا هذا، ليست هى الحكومات الرسمية المعلنة، وبالتالي فهى ليست الشعوب حتى لو أوهموا أنها انتخبت حكوماتها، لم يعد **غسيل المخ** قاصراً على تغيير معتقد فرد متهم أو جماعة متحمسة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار أو العكس، بل أصبح لعبة **الحكام الحقيقيين للعالم ، وسبيلهم الأضمن للتأثير على توجهات وأيديولوجيا بل وعواطف، وربما أديان مليارات البشر** لصالح أغراضهم المعلنة والخفية (الاستهلاك- الثروة - السلطة، وبالعكس)، كل ذلك يجرى ويتزايد بسرعة فائقة مع أن قوانين التطور تندرهم قبل غيرهم بخطورة هذا التدخل فى تشويه الكائن البشرى، مما يعرض النوع البشرى للانقراض، علماً بأنهم سوف يكونون أول أجيال المنقرضين.

طبيعة المخ البشرى بين التشكيل والإبداع

المخ البشرى كيان حيوى مرن، فى حالة نبض مستمر بحسب دورية الإيقاع الحيوى بين النوم والحلم واليقظة. لعل أهم طور من أطوار هذا الإيقاع الحيوى هو طور الحلم (بغض النظر عما إذا حكى الحلم أم لا) وهو دور "التفكيك" (وهو اللفظ الذى يستعمل حديثاً لتسمية غسيل المخ) ، ومن ثم إعادة التنظيم بشكل تلقائى، مما يبين كيف أن **الحلم هو التفكيك الطبيعى، وإعادة التشكيل هو الضمان الطبيعى لاستمرار النبض الدماغى فى اتجاهه الصحيح..**

غسيل المخ يستغل هذه القابلية للمخ - أى الحاجة الختمية إلى التفكيك - ثم ينحرف بها قصداً إلى أغراضه، بل إنه يلجأ إلى إحداث مصطنع مقصود لتفكيك متمادٍ محسوب، بشكل مرتب مبرمج ، وبدلاً من أن يساعد التفكيك على إعادة التشكيل أو يمهده - كما يحدث فى الحلم والإبداع - فإن التفكيك المُخخَّم يُسَخِّرُ خدمة أغراضه الخبيثة عادةً.

الإبداع - وهو طبيعة حيوية بشرية أيضاً - هو مثل الحلم: **عملية تفكيك وإعادة تشكيل**، ولكن فى وعى فائق مشتمل (مقابل وعى الحلم أثناء النوم)، ونتيجته - ليكون إبداعاً - هو إنجاز تشكيلات أشمل وأرقى، سواء كان ذلك فى شكل ناتج إبداعى أم اضطراد نمو الفرد.

غسيل المخ هو نوع من سوء استعمال خطوات الإبداع الأولى لتجهز إيجابياتها ويتم تحويلها سلباً إلى ما هو خطير وبشع.

غسيل المخ يفتعل التفكيك، ثم يتقدم إلى إعادة التشكيل - اقتحاماً من الفاعل وليس إبداعاً من المفعول به- لصالح أغراض الفاعل المغرض تماماً.

المصيبة المعاصرة هى أن دس السم فى الدسم أصبح مهمة الحكام الحقيقيين فى العالم (أغلبهم تحت الأرض: المافيا والشركات العابرة لكل شئ)،

مثلاً: كثير مما يجرى تحت اسم حقوق الإنسان، والعمولة،

والنظم الاقتصادية الشاملة الملزمة، بل والأبحاث العلمية في المراكز المخصصة لخدمة أصحاب المصلحة الخبيثة (مثل أغلب شركات الدواء، أو بعض شركات المعلوماتية، والبتروك) تصاغ لصالح استغلال هذا الإيقاع الحيوى ليصبح ناتجه كله، أو على الأقل أغلبه، لخدمة أغراضها التى هى أبعد ما تكون عن صالح تطور الإنسان.

حق العلماء فى مراكز البحث الملحقة بهذه المؤسسات العملاقة، أو الممولة من جانبها، أصبحوا يسمون **"بروليتاريا العصر الأحدث"** سواء تم ذلك من جانبهم شعورياً، أو لاشعورياً.

الإنسان المعاصر فى حضوره فى العالم الآن لا يتصرف تبعاً لما وصلت إليه أبحاث المعامل الحقيقية، أو إنجازات التكنولوجيا المتطورة، ولا تبعاً لما يسمع من خطب العرش أو برامج الحكومات أو موثيق الحقوق، وإنما يتشكل وعيه - المصنوع عادة - بناءً على ماتيرمىج به خلايا مخه لخدمة مصالح هؤلاء الحكام الحقيقيين.

هذا ما ينبغى الانتباه إليه أكثر من غسيل مخ متهم ليعترف بما لم يقترفه، أو غسيل مخ أصول ليقتل زملاء له، بدلا من أن يقتل من ينوى قتلهم!! .. إلخ.

من بعض ما يجرى

يقوم فيضان الإعلام الأحدث بشكل مباشر أو غير مباشر بغسيل مخ جماعى طول الوقت، وتقسم الأدوار بشكل مرتب (أو عشوائى يتكامل) على كل وسائل الإعلام، بل والتعليم والسياسة الداخلية وخارجية، بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك من خلال آليات وتقنيات متضفرة تتكافل فيما بينها لتحقيق الأغراض السلبية الخطرة المؤدية فى النهاية إلى انقراض الإنسان بمنتهى الغباء التطورى. ومن هذه الآليات نعرض بعض الأمثلة المحدودة:

أولا : الإغراق

يقع المخ البشرى المعاصر حالياً تحت فيضان من الضوضاء الإعلامية والسياسية، بحيث يصير ليس فقط إلى حالة تفكيك كامل، بل شلل كامل، ومن ثمّ يصبح جاهزاً لزرع الأفكار المغرضة الجديدة

ثانياً: التشثيت

إذا كان الإغراق يعنى عملاقة كم البث والغمر بالمعلومات أياً كانت، فإن التشثيت هو عملية استغلال هذا الغمر فى إفشال أى متابعة للإدراك المنظم حتى يمنع المستمع أو المشاهد أو أى أحد من أن تتكون لديه "جملة مفيدة" يمكن أن يتخذ منها موقفاً ناقداً، سواء بالموافقة أو الرفض، **مثلاً:** إن عدد المسلسلات 0 المفروض أنها حلقات فى سلسلة - التى فى تناول الفرد العادى فى لحظة بذاتها - هى من الكثرة بحيث أصبح الانتقال من جزء من واحدة منها، قبل أن تكتمل، إلى

جزء من مسلسل آخر هو أقرب إلى القاعدة، وقس على ذلك الأغاني بل والأخبار والبرامج الحوارية .. بل قس على ذلك زخم البيانات والشعارات والإجراءات والأرقام والمؤتمرات، التي تصل إلى ما لا يمكن تتبعه أصلاً، ناهيك عن تصديقه.

ثالثاً: الإلهاء

في الإلهاء تقوم عمليات غسيل المخ بإزاحة ما لا تريده بشد الانتباه إلى غيره، ليس بالضرورة إلى عكسه مما تريده هي، بل إن مجرد الإلهاء بعيداً عن المواضيع الأولى بالاهتمام، هو خطوة تمهيدية نحو التفكيك فالحشو الأخبث، وتستعمل في الإلهاء كل الأساليب المباشرة وغير المباشرة: الإعلامية والتعليمية والتثقيفية وحتى الإبداعية.

رابعاً: التهميش

يتم التهميش، بعد التفكيك والإشلال عادة، بإزاحة تدريجية للأهم، والأولى بالنظر إلى الهامش أو الظل.

خامساً: الإحلال

بعد التهميش والإزاحة يحتاج الأمر إلى ملء الفراغ بما يحل محل الأهم والأخطر يتصاعد يسمح لنا أن نخصص لها الحديث عن ماهو "إحلال" ومن ذلك:

* إحلال الجزء محل الكل مثل التركيز على قضية أشرف فرد محل احتلال بلد، أو إحلال الاهتمام بمقتل طفل والإشفاق عليه محل مقتل المئات والألوف في منازلهم، ومنه أيضاً :

* الإغلاء من شأن الموثيق المكتوبة (عن حقوق الإنسان مثلاً) بالتقنين العقابي ثم التقديس الإعلامي، **(لتحل محل)** الواقع الحقيقي الذي مهمته الأساسية تنمية القوانين الطبيعية لاستمرار مسيرة الإنسان الإبداعية القادرة على المحافظة على نوعه.

* **إحلال الكلمات محل الممارسة الفعلية**، حتى يُكتفى بالنقاش حول ألفاظ خاوية أو خادعة، عن تنمية ممارسات أصيلة تحافظ على تكامل أفراد النوع معا ويسمى ذلك حواراً في أغلب الأحيان، أي والله!! إلخ،

* **إحلال اتهام شائع معلن محل البحث الجاد** عن فاعل أصلي حقيقي،

* **المبالغة في التركيز على متهم ثانوي لتعتيم البحث** عن الحقيقة الهادية للمسئول الفعلي عن الجريمة أو الحرب، يعني: إحلال الأضعف حتى لو كان مسئولاً جزئياً، محل الأقوى خاصة لو كان لعب لعبة تسمح بذلك، وهكذا.

الوعي البشري الجماعي الجديد

على الرغم من كل ذلك، فإنه يبدو على ساحة العالم أجمع أن ثمة إرهاصات لبزوغ فجر جديد، برغم من أن الخيط الأبيض من الخيط الأسود لم يتبين بشكل واضح، ويمكن أن نسمى هذا القادم الواعد باسم: "الوعي البشري الجماعي الجديد"، في مقابل "النظام العالمي السلطوي الجديد"،

موجز القول

- إن لا مركزية الإعلام المتمادية،
 - واتساع مجالات المعرفة وقنوات التعرف التي أصبحت متاحة لكل الناس (تقريباً)
 - وامتداد شبكات التواصل الفردى والجماعى الأصغر فالأكبر،
- كل ذلك يرسل إشارات متواضعة، لكنها متمادية في النماء والوعد، تقول :
- إن بالإمكان أن يوقف مدّ التدهور، وأن تتحول الموجة لصالح تطور البشر لتحول دون الانقراض الذى ظهرت علامات ساعته جلية في الأفق.
- إن هذا التواصل الواعد الجديد قادر على أن يعيد للشخص العادى بعض معالم فطرته التى شوهتها وتشوهها عمليات غسيل المخ الجماعى المهددة للنوع البشرى برمته ، فنستعيد بذلك :

- حلاوة المعرفة،
 - وفرحة التساؤل،
 - ومسئولية الحزن الموقظ
 - ودهشة الحكمة الفطرية،
 - وفخر التاريخ الحيوى،
 - وتواصل البشر الحقيقى،
 - وإمكانيات الشخص العادى في المشاركة في النقد والإبداع،
- فيعود الإنسان قادرا على أن يسير أموره من حسن إلى أحسن برغم بطء الخطى ووعورة الطريق.

.....

تعقيب أخير كتبتة اليوم 19 نوفمبر 2007:

حين قرأت آخر المقال هكذا:

امتلات غيظا منى و أملا : فيكم، وفي ربنا.

أى والله، !!!!

الإثنين 21-11-2007

82... الموت والشعر

حين كتبت لحة عن كتاب أقاصيص/قصيدة أسامة الدناصري: ("كلى الهرم - كلى الخبيب" يومية 11-19)، استشهدت بكلمة أدونيس في رثاء صلاح عبد الصبور "الموت، ذلك الشعر الآخر"، كما وجدتني أراجع موقفى من علاقة الموت بالحياة بالخلود الذى ذكرته فى نقدي ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ والذى أوجزته فى "أن الحياة هى إرادة التخلق من يقين الموت والوعى به" لأضيف فى تلك اليومية إضافة بدت لي غامضة حتى الآن حين قلت: إن الذى يخلق الحياة ليس فقط يقين الموت والوعى به وإنما هو الموت ذاته،

كيف تتخلق الحياة من الموت؟

وفى يومية أسبق ("المصادقية بالاتفاق" يومية 11-12) أشرت إلى أنه كيف وصلني مؤخرا - دون قصد - أن الموت هو نقلة من الوعى الشخصى إلى الوعى الكونى توجهها إلى وجه الحق سبحانه وتعالى،

كل ذلك أزمئني أن أعود لافتح هذا الملف تحملا لمسئولية هذه المخاطرة، وأملا فى المضى خطوة أخرى لعل وعسى.

يبدو أن حل الإشكال يبدأ من ضرورة التفرقة بين الموت والفقء، وأيضا بين الموت السكون الذى يبدو كأنه العدم مجرد الاختفاء، وبين الموت ذلك الشعر الآخر، وهو القادر على إعادة تشكيل الوجود بالجدل بين مستويات الوعى المتصاعدة إلى وجهه تعالى، متجاوزة الوقوف عند حشرات الفقء، ووحشة الاختفاء.

هذا الموت الأخير هو ما يحتاج إلى ...

.....

.... فجأة حضر محمد إبنى صاحب القصيدة التى نشرت فى نفس اليومية، - وفى أخبار الأدب من قبل - حضر يقاطعني من خلال ما أرسله لي من تصحيح لما ذكرته فى تلك اليومية 11-19 التى نشرت فيها قصيدته، يقاطعني قائلا:

..... أما بعد، فأسامة ليس الصديق الذي كُتِبَ فيه ما كُتِبَ مني.

كنت أعرف أسامة وأقابله عند أصدقاء مشتركين ومعهم، ولم ترق معرفتنا لمستوى يسمح لي بادعاء صداقته .

أما ما كُتِبَ فقد كان موجهاً لـ محمد حاكم، زميل ممتد منذ 1985 وما بعدها، وكان قد جاءنا خبر إصابته بسرطان في البنكرياس، منتشراً انتشاراً يحسم التوقعات تماماً. جاءني الخبر جرعة واحدة، ولم يكن قد بلغه بعد، ولم يكن كثيرون يعرفون ماذا يفعلون، ماذا يقولون له وماذا يجفون، والأغلب أنه كان يعرف أكثر منهم ويقبل أكثر منهم. وفي هذا السياق، ولطبيعة المصريين الذين يتصورون عن فعل الخير غير ما ينبغي أو يفيد أو يواجه؛ انهزم الذين عرفوا مقدار حسم النتيجة الطبية أمام من سعوا لمطّ الحياة حتى ولو بأبهظ التكاليف والآلام وبأقل المبررات.

كنت قد عرفت، وتوقعت كل هذا، ولم أجرؤ على إعلان حسم توقعاتي، فكُتِبَ ما كُتِبَ (قبل أن يموت بشهرين) ولم أجرؤ على إعلانه إلا لاثنتين فقط ممن يعرفونه. ثم مات، ونشرت الكلمات التي لم تكتب لتنشر، شكرأ مرة أخرى، ليس على هذا وحسب.

محمد يحيى الرخاوي

فضلت يا محمد أن أثبت ملاحظتك الكريمة هنا وليس في حوار **بريد الجمعة** لأنها تصحيح ليومية مهمة، الخطأ الذي وقعت فيه لم يكن خطئى وحدي، ربما حدث لأن نشر قصيدتك واكب أو أعقب رحيل أسامة، ولا أنت ولا هالة أخيرتماني بصاحب الرثاء تحديداً،

أما أنك كتبتة وصديقك محمد حاكم مازال حيا، فإن في ذلك ما يرر العنوان "**يموت**" ذلك العنوان الذي جعلني أتصور أن أسامة لم يمِت بعد في وعيك،

تقول لم تكتبها للنشر، وأنت تعلم أنني لا أنشر كثيرا من شعري، لكن فتح ملف "الموت والشعر"، ومعلومة أنك كتبت ما كتبت (أو كتب منك) وصديقك مازال حيا، جعلني أتذكر خبرة مماثلة حين صحبت عمك المرحوم أ.د. السعيد الرازقي إلى مستشفى ماس جنرال في بوسطن، وعرفنا هو وأنا طبيعة مرضه، وأنها النهاية تماما مثلما عرفت أنت فرص صديقك محمد حاكم، فوجدتني أكتب عن موته وهو بعد حيا (أيضا)، وأخبرته بذلك جبّ وقح، وإذا به يضحك مرحبا، ويطلب مني أن أسمع رثاءه، فتكون سابقة خاصة، ثم أكمل ضحكته قائلا: وربما صحت لك لغتك (كان هو الوحيد الذي ينطق اسمي يخفى بفتح الياء الأولى) (رحمه الله)

وكانت القصيدة بعنوان أنياب الظلام (1).. وما هي
لماذا يا صديقي؟
(دائرة ملتثاة).
عجّلت بالنهاية؟

(تقضم في الجهول والمعلوم أنياب الظلام جائعة).
هل ضقت ذرعاً؟
أسامتك أصوات اللجاج والجشع؟

.....
ثارت أجنّة الخلايا، تضطرع
تعملقت فطرتك الأبيّة
لم ترع عهداً، لا، ولما تنتظر.
فيم العجالة والسأم؟
تقفز خلف الخدّ بعد العدّ، تقتحم.
ترجع نحو عُشها اليمامة.
لم نقو بعد يا صديقي.
قبل الوفاة
1985/7/30

ثم عدنا يا محمد إلى القاهرة،

وجاورتُ سريرته ليل نهار، ولم نحاول أن نعيث بأيامه الأخيرة
كما أشرت أنت بالنسبة لصديقك، وظل شهيقه وزفيره يعزف لحن
الوداع في غيبوبته حتى فاضت روحه، فحضرت قصيدة أنياب
الظلام (2) على إيقاع ذلك، وزوجته الكريمة أمام ناظرى وفي
خليتي (رحمها الله)

ها هي القصيدة
" أنياب الظلام (2)

-1-

وصاحي ..،

يقولها بعد انتهاء الموعد،
بلهاء ترعى في سراي الخلد تُقرُّ العدم.

-2-

وصاحي ..،

يلهث خلف الموت، قبل الموت،
جاء الموت يسحبُ الحياةَ قطرةً فقطره،
فتطفح البثور فوق صفحة الكلام.
أقلب الديوان بحثاً عن قصيدة مُهترئة،
وصاحي: يروّضُ الهواء

ينتظم.

-3-

مرجى انطلاقة التخرير،

مرجى استدارة الزمن.

(العار ياسيدتي الكريمة،

العار ألا تختفي.

"أجسادنا تكبل الإلهام"،

"تبرر العفن")

-4-

تحمّد الصقيع ذرات المناوبة.

يا حشرتنا

لم يبق إلا ما تبقى من فئات المائدة.

يا صاحي
لا تطفئ الشموع قبل الرجفة المسافرة.
الآن؟ ليس الآن،
حتى الآن، قبل الآن،
يا نبضها حقيقة الزان المكثف فوق قلب الخائبين
الغزل.

-5-

يشهق في رتابة
سر توارى في خاء الشوكية المزمهرة.
مجنو عليها - تنطلق.
يزفرها،
تسلم العلم.

يطل من ورائها المجهول.
.. لا سهل إلا ما سهل
"شيخ إذا ما لبس الدرع حزن"،
"سهل لمن سأل، حزن للحزن"
هل يا ترى تسلم القيادة؟
هل يا ترى قد أصبحا في واحد،
إن قال: كُن، يَكُن؟

-6-

جُرئية حائرة،
تقول؟ لا تقول؟ تعتمل.
(لم أبدأ يوماً، لا ولما أستتر)
سارعت أنفخ المقولة القديمة،
دارت تئن
تردد الصدى،
يرقص رقصة المصلوب فوق شاهد العدم.

-7-

هذا،
ولما كان يومها بلا غد،
وريجها بلا اتجاه،
مرقت ثوب الشعر،
ذابت القصيدة الوليدة،
في وعدها القتيل.

-8-

في كل وجهة نبي،
في كل نبضة ألم.

-9-

يعاود الشهيق، يشهد الزهور والحقب:
"ما مضى سوى الزفير ينتحب
ما هد ظهري غير طوطم البكم،
ما راعى سوى الكذب".

-10-

وصاحي
غافلنا بلا وداغ
أرعى شدولها

بعد الوفاة: 13 / 2 / 1986

هل لاحظت يا محمد

"هل يا تَرَى قَبْدَ أَصْبَحَا فِي وَاحِدٍ، إِنْ قَالَ كُنْ يُكُنْ؟"

أكتشف الآن أن شعري سبق رؤيتي التي أشرت إليها في البداية، وفي يومية المصادقية بالاتفاق Link سبقها بعشرين عاماً.

ثم أنى انتبهت بعد رحيله، وبعد تأكيدنا لبعضنا البعض على تبادل المواعظ والحكم، وبعد إعلان التعلّم - حتماً - من حقيقة يقين الموت، والتعهد ألا ننسى، وأن نراجع أنفسنا - مادام الأمر كذلك - حتى نكيف حياتنا بما يليق بالوعى بهذه الحقيقة، لاحظت يا محمد أننا - أنى - ننسى كل ذلك بسهولة لا مثيل لها، مهما قلنا، ونعود إلى ما كنا عليه بالضبط، وأكثر عمى، والحمد لله، فكتبت هذه القصيدة الأخيرة بعد أن ضبطت نفسي متلبساً في أحضان الحياة اللعوب، ناسياً صاحي بشكل أو بآخر.

"عظة الموت تتسرب".....

وأزعم أن القناع القديم تساقط حتى استبان المدار، يبشّر بالمستحيل:

إِذَنْ؟

وتسرى المهاربُ تَنَحَّتْ دَرِباً خَفِيئاً مَجُوفِ الأَمَلِ،
فَأَخَشَى افْتِضَاحَ الكِمَائِنِ نَسْفَ الجُسُورِ، وإِغْرَاقَ مَرَكِبِ
عُودَتِنَا صَاغِرِينَ، فَاُمْسَكْهَا، تَتَسَخَّبُ بَيْنَ الشَّقَوقِ، وَخَوْلِ
الأَصَابِعِ، تَمْخُو التَّضَارِيسُ بَيْنَ ثَنَائِيَا الكَلَامِ، تَخْدَرُ مَوْضِعَ
لُدْغِ الحَقَائِقِ، تَسْحَقُ وَغَى الرُّهُورِ، وَحَنِّ السَّنَابِلِ.

مَنْ؟

لماذا الدوائرُ رُنَّ الطِّينِ، خَفِيفُ المَذْتَبِ، يَجْرِي ، بِنَفْسِ
المسار لنفس المصير،
بِلا مُسْتَقَرٍّ؟

لماذا نبيحُ الهُنا الآنَ جَساً بما قد يلوح، وليس يلوح،
فنجترُ دوماً فَتَاتَ الزَّمَنُ؟

لماذا الوُلُوجُ؟ الخُرُوجُ؟ الدَوَارُ؟ لماذا اللَّمَّادَا؟؟
فَمَاذَا؟

وأخجلُ أن تستبينَ الأمورَ فَاُضْبَطَ فِي حُضْنِهَا الغَانِيَةِ .
فأزعم أتى انتبهت، استعدتُ، استبقتُ، استبنتُ..

(إلى آخره!!)

ويرقُ رقاصُها في عنادٍ، فتنبشُ لحدِّ الفقيده العزیز، تُسَرِّبُ
منه خيوط الكفن.
أحبُّها في قوافي المراثي لأعمد سيف دنو الأجل.

.....

فياليتَه ظَلَّ طَيِّ المَخالِ،
وياليتَها أَخْطَأَها النِّبالُ،
وياليتَني أُسْتَطِيبَ العَمى

1986/5/10

أشكرك يا محمد أن تحت لي هذه الفرصة،
وإلى لقاء هنا أو هناك.

إليه أبدا!

نوفمبر 2007: أسبوع 3



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007

أ. د. يحيى الرضا أوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي



الأبحاث النفسية

- عيد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عيد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عيد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها و اشرف عليها و مشاركته عبيد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباتولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل نظيره للأمراض النفسية والسيكوباتولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحلات يحيى الرضاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجره (ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعري الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا لنعب يا جدي سوياء مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007

